روايات مصرية للجيب

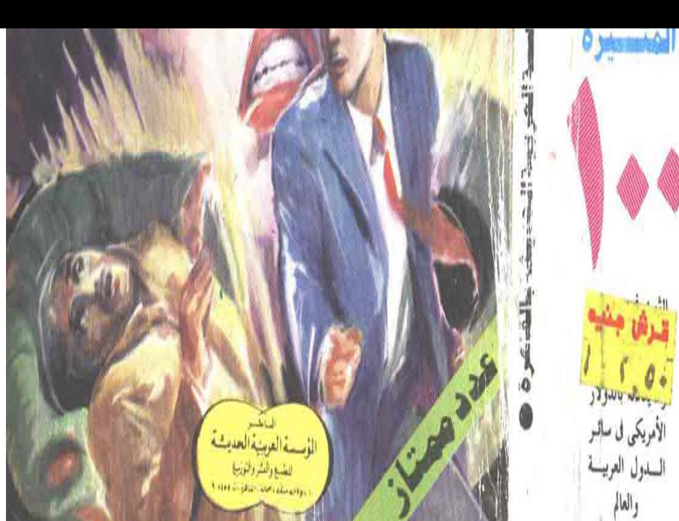
رجل المستحيل

الضربة القاصمة

١٠٠

د. نبيل فاروق





الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل ● ١٠٠ الضربة القاصمة ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف

د. نبيل فاروق

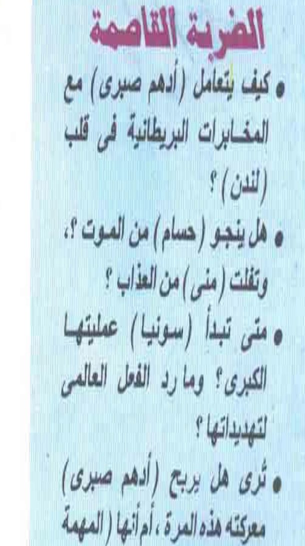
رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب

١٠٠

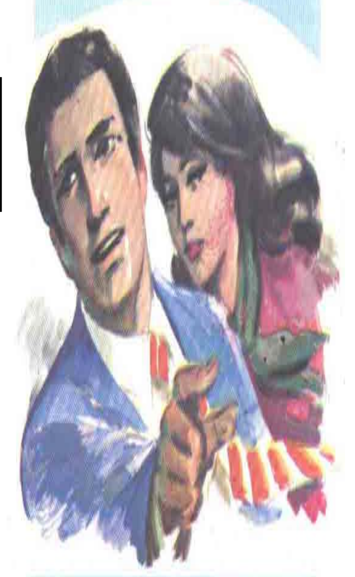
الثمن قرش جنيه ٥٠ ٢ ١ وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم





الضربة القاصمة

- كيف يتعامل (أدهم صبرى) مع المخابرات البريطانية فى قلب (لندن) ؟
- هل ينجو (حسام) من الموت ؟، وتفلت (منى) من العذاب ؟
- متى تبدأ (سونيا) عمليتها الكبرى؟ وما رد الفعل العالمى لتهديداتها ؟
- ترى هل يربح (أدهم صبرى) معركته هذه المرة ، أم أنها (المهمة الأخيرة لرجل المستحيل) ؟!



رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - المهمة الأخيرة ..

بدأت الشمس رحلة الشروق فى بطء، من خلف تلك المرتفعات الشهيرة، فى (لوس أنجلوس) الأمريكية، وألقت أشعتها الحمراء والصفراء فى مزيج مدهش، على سيارة أمريكية الصنع، من طراز حديث، تشق طريقها بسرعة كبيرة إلى حد ما، نحو حافة صخرية مخيفة، تنتهى بهاوية عمقها خمسون مترًا، تتلاطم أسفلها أمواج المحيط الباسيفيكى(*)، قبل أن تتكسر على صخور الشاطئ، وتنحسر فى صوت هادئ خانع ..

ولو قُدِّر لشخص ما أن يشاهد تلك السيارة، وهى تنطلق نحو تلك الهاوية المخيفة لتصوّر أن قائدها شخص فقد الرغبة فى الحياة، ويزمع الانتحار، بإلقاء نفسه مع سيارته من ذلك الارتفاع الهائل، فيتحطم معها على صخور الشاطئ ..

(*) المحيط الباسيفيكى: المحيط الهادى: أكبر المحيطات فى العالم، وأعمقها غورًا، تنتشر جنوبه وغربه عدة جزر كثيرة، وفيه التيارات الاستوائية والشمالية والجنوبية، والتيار الاسترالى الشرقى، وتيار (بيرو)، وتيارات (اليابان) و(كاليفورنيا).

ولكن هذا التصوّر لم يكن صحيحًا ..

لقد كان قائد هذه السيارة رجلًا يشعر بأنه أعظم منتصر على وجه الأرض، وهو يحمل فى مقعدها الخلفى غريمه اللدود فاقد الوعى، وزميلته الحسناء مقيّدة مكمّمة، لا تملك نفعًا ولا ضرًّا ...

وكان هذا القائد هو (موشى) ..

(موشى حاييم دزرائيلى)، رجل المخابرات الإسرائيلى اللامع، والخصم رقم واحد لرجل المخابرات المصرى الذى يحمل اسم (أدهم صبرى)، ولقب يندر أن يحمله سواه ..

لقب (رجل المستحيل) ..

وفى ثقة وهدوء، وبابتسامة ظافرة مزهوّة، ضغط (موشى) فرامل سيارته، ليوقفها على مسافة مترين فحسب من الحافة، ثم ضغط أحد أزرارها، فتحرّك سقفها متراجعًا فى بطء، مع أزيز خافت، حتى أصبحت مكشوفة، وظهر الرجل الراقد فى مقعدها الخلفى فى وضوح، مع زميلته التى لم تتوقف بعد عن محاولة التخلّص من قيودها ..

وفى قسوة واضحة، انتزع (موشى) الفتاة من مكانها، ودفعها أمامه لثلاثة أمتار، بعيدًا عن السيارة، وقال فى غلظة، وهو ينزع الكمامة عن فمها :

- انتظرى هنا .

كانت تتمنى لو أنها خالفت أوامره، وانقضت عليه بكل قوتها، فى محاولة لإنقاذ زميلها، إلا أن قيود معصميها وقدميها كانت تكبّل حركتها تمامًا، وتمنعها من مجرّد التفكير فى المحاولة، فاكتفت بتأوه مكتوم، عندما انتزع (موشى) الكمامة عن فمها، ووقفت تراقبه فى توتر بالغ، وهو يعود إلى السيارة، ويتأكّد من القيد المعدنى، الذى يربط معصم زميلها الأيمن إلى باب السيارة، ثم انحنى يحقنه بعقار ما، وهو يغمغم :

- آن الأوان لتستعيد شيئًا من الوعى يا رجل .

وانتزع المحقن، وألقاه فى الهاوية، ثم وقف يتطلّع إلى الرجل الراقد أمامه، والفتاة تشاركه ذلك التطلع بلهفة واضحة ..

ومضت دقيقة كاملة، دون أن يبدو أدنى أثر للحركة أو الحياة، على جسد الرجل، ثم لم يلبث أن فتح جفنيه فى صعوبة، وتطلّع بعينين نصف مغمضتين إلى (موشى)، وحاول أن يقول شيئًا، إلا أنه عجز عن هذا تمامًا، فابتسم (موشى) فى سخرية وشماتة، وهو يقول :

- مرحبًا بك يا عزيزى (أدهم) .. يُسعدنى أن تستعيد وعيك إلى حد ما، قبل أن تلقى حتفك .

ارتجفت (منى توفيق)، وهى تستمع إلى عبارة (موشى)، وحاولت للمرة الألف التخلّص من قيودها فى يأس، فى حين هزّ (موشى) رأسه، وقال بلهجته الهادئة الواثقة الشامتة :

ـ الحالة التى تمرّ بها الآن يا عزيزى (أدهم)، تسمح لك بالرؤية، وسماع حديثى، وإدراك ما يحدث، ولكنها تجعل أطرافك ضعيفة واهنة، تحتاج إلى مجهود خرافى لتحريكها، هذا لأن العقار يؤثّر فى الأطراف العصبية الحركية، ولكنه عديم التأثير تقريبًا، بالنسبة للأطراف العصبية الحسية .

صدرت من الرجل همهمة متوترة، اتسعت لها ابتسامة (موشى) أكثر، وهو يقول :

ـ أعلم أن لديك الكثير لتقوله .. والأكثر لتشعر به، ولكن هيهات .. الأمر يحتاج هذه المرة إلى ما يفوق قدراتك كثيرًا .

تحرّكت (منى)، فى محاولة للتقدم نحو (موشى)، ولكنه انتزع مسدسه بسرعة، وصوّبه إليها قائلًا :

ـ لا تتعجّلى النهاية يا عزيزتى .

ترقرقت عيناها بالدموع، وهى تشعر بعجزها الكامل فى هذا الموقف، عندما نجح (موشى) أخيرًا، فى السيطرة على زميلها (أدهم صبرى) ..

(أدهم صبرى)، الذى حطّم أنوف العظماء، وأثار غضب كل أجهزة المخابرات فى العالم تقريبًا ..

(أدهم صبرى)، الذى جاب العالم كله، دون أن ينسى وطنه لحظة واحدة ..

(أدهم صبرى)، الذى لم يخش فى حياته سوى خالقه، ولم يسجد إلا لله (عزّ وجلّ) ..

(أدهم صبرى)، البطل، المقدام، الجرىء .. الأسطورة ..

(أدهم صبرى)، الذى أحبّته، وتحبه، وستظلّ تحبه، مادام فى جسدها عرق ينبض، وفى صدرها نفس يتردّد ..

وسالت دموع المرارة والعجز من عينيها، وهى تشاهد ما يحدث أمامها ..

لم يكن من السهل أبدًا أن تصدّق هذا ..

لم يكن من الهيّن أبدًا أن ترى (أدهم) أمامها، شبه عاجز، فى قبضة (موشى دزرانيلى)، ألد وأخطر أعدائه، وهى عاجزة عن التدخّل لمعاونته وإنقاذه ..

ومع دموعها الغزيرة، ابتسم (موشى) فى شماتة أكثر، وقال لغريمه الراقد أمامه :

ـ من المؤكّد أن حياة كل منا كانت حافلة تمامًا يا عزيزى (أدهم)، ولكن صراعاتنا لم تكتسب طعمًا

خاصًا، إلا عندما واجه كل منا الآخر .. إننا نتشابه فى الكثير، ونتعارض فى الأكثر، ولكن هذا لا ينفى أننا أقوى رجلين، فى كل أجهزة المخابرات، فى العالم أجمع، دون أدنى مبالغة .. ولقد انتصرت علىّ أكثر من مرة، فى صراعاتنا السابقة، ولكن القدر كان يدخر لى النصر الأعظم، فى الجولة الأخيرة من مباراتنا الطويلة يا رجل .

والتقط نفسًا عميقًا من هواء الفجر النقىّ، ملأ به صدره كله، قبل أن يستطرد :

ـ هأنتذا ترقد أمامى، شبه فاقد الوعى، عاجز عن الحركة تقريبًا، داخل سيارة خاصة، أعددتها بنفسى، وأحكمت قيودك الحديدية داخلها، بحيث لا أترك لك أملًا واحدًا فى النجاة .

همهم الرجل بكلمات موجزة، ورفع يده اليسرى فى صعوبة، فانتحبت (منى) فى مرارة، وسالت دموعها أكثر وأكثر، و (موشى) يقول :

ـ أعلم أن يدك اليسرى حرة الحركة، ولكنك لاحظت ولا ريب أن يدك اليمنى مقيّدة بأغلال فولاذية، غير قابلة للكسر، تم تثبيتها بلحامات قوية فى باب السيارة، المثبت فى الوقت ذاته بدعامات إضافية، تجعل انتزاعه من مكانه مستحيلًا تمامًا .

واتسعت ابتسامته أكثر وأكثر، وهو يضيف :

ـ أما السيارة نفسها، فقد زوّدتها بجهاز تفجير خاص، يبدأ عمله بعد عشرين ثانية فحسب، من الضغط على ذلك الزر الأخضر الصغير، الذى تراه أمامك فى مقدّمة السيارة، وهذا الزر يقوم بعمله مرة واحدة، ثم يصبح غير ذى فائدة .. أى أن الضغط عليه لمرة ثانية لن يمنع تنفيذ البرنامج بالكامل .

شهقت (منى) وسط دموعها، وقالت فى ألم ومرارة :

ـ أيها الحقير .

تجاهل (موشى) قولها تمامًا، وهو يستطرد :

ـ وبمجرّد الضغط على هذا الزرّ يشتعل فتيل ثلاث قنابل، تنفجر الأولى فى المحرّك، بعد عشرين ثانية، فيشتعل ويتم تدمير جهاز الفرامل الرئيسى، وهذا يعنى أن تتحرّك السيارة نحو الهاوية، وعندما تبلغ حافتها بالضبط تنفجر القنبلة الثانية، تحت مقعدك بالضبط، ومع سقوط السيارة فى الهاوية تنفجر القنبلة الثالثة، وهى أشد قوة من مجموع سابقتيها، ومهمتها نسف ما تبقى من جسدك وجسم السيارة تمامًا .

انتحبت (منى) فى عنف، فابتسم (موشى) مرة أخرى، وقال :

- ما رأيك يا عزيزى (أدهم) .. أليست ميتة شاعرية خاصة، تتفق مع تاريخك الحافل ؟!.. صدقنى يا رجل .. لست أتمنى لنفسى ميتة أفضل .

هتفت (منى) :

- أتمنى لك أسوأ وأبشع ميتة فى الكون كله .

أطلق (موشى) ضحكة ساخرة، لم يعتد إطلاق مثلها قط، قبل أن يقول :

- أعلم يا عزيزتى .. أعلم أنك تذوبين حبًا وعشقًا لعزيزنا (أدهم)، وأنك لا تحتملين رؤيته فى هذا الموقف، وأنا واثق من أن الجزء الأكبر من عذابه، يكمن فى خوفه عليك، وعلى وجودك فى قبضتى، بعد أن يلقى مصرعه .

ثم مال نحو الرجل، واستطرد شامتًا :

- ولكن اطمئن يا صديقى .. ستعرف مصيرها قبل أن تذهب .. هذا جزء من خطتى .

أدار الراقد عينيه إليه فى مقت وغضب، فضحك (موشى) مرة أخرى، وقال :

- ألم أقل لك ؟ أنت أيضًا تحبها يا رجل، وهذا خطأ فى عالمنا .. لا تفسح المجال لعواطفك قط .

واستدار يواجه (منى)، وصوّب إليها مسدسه، مستطردًا :

- والآن هيًا .. شاهد نهايتها، قبل أن تبدأ نهايتك .

ارتجفت (منى)، وحاولت أن تتراجع بسرعة، ولكن (موشى) خفض مسدسه بغتة، وقال :

- لحظة يا عزيزتى .. هناك خطوة هامة، ينبغى عملها أوّلًا .

وضغط الزر الأخضر، فى مقدّمة السيارة، وابتسم قائلًا :

- أمامك الآن عشرون ثانية فحسب يا (أدهم) .

صاحت (منى) :

- لا .. لن أسمح لك .

كانت قيود قدميها محكمة بالفعل، تسمح لها بالوقوف، ولكنها لا تسمح لها بحرية الحركة، وعلى الرغم من هذا فقد اندفع جسدها إلى الأمام، وكأنها تنقض على (موشى)، فاستدار إليها هذا الأخير فى سرعة مدهشة، وقال:

- عجّلت بنهايتك يا فتاتى .

وأطلق رصاصاته نحوها ..

وصرخت (منى) فى ألم، وعندما شعرت بالرصاصات الخمس تخترق جسدها، وسقطت على وجهها، فصوّب (موشى) مسدسه إلى رأسها فى صرامة، وهو يقول :

- نفس ما حلمت به بالضبط .. الرصاصات الثلاث الأخيرة تخترق رأسك وتنسف جمجمتك، و ...

رأى عينيها تتسعان فى ذهول ولهفة، على الرغم من الآلام المبرحة، التى تشعر بها، وأدرك أنها تتطلّع إلى شىء ما خلفه، فاستدار بسرعة إلى حيث تنظر، ولكن قبل أن تكتمل استدارته . قبضت أصابع فولاذية على شعره، وجذبته إلى السيارة فى عنف ..

وكانت مفاجأة مذهلة لرجل مثل (موشى) ..

لقد رأى أمامه غريمه اللدود، وقد دفع جسده كله ناحيته، على الرغم من القيود التى تثبت يده اليمنى بالباب وأمسكه بيسراه القوية ..

وصاح (موشى) :

- مستحيل !.. لا يمكنك الحركة على هذا النحو .

كان العقار الذى حقن به فعّالًا بحق، ولكن مرأى (منى)وهى تصاب، فجّر فى عروق هذا الخصم طاقة هائلة، انتزعته من تراخيه، وحاربت العقار المثبط للحركة فى عروقه، وجعلته ينتفض ويهب لنجدة المرأة التى أحب، ويقبض على شعر (موشى) بتلك القوة الهائلة ..

وفى عنف شرس، حاول (موشى) تخليص شعره من قبضة خصمه، وهو يهتف :

- اتركنى .. اتركنى وإلا قتلتك .

وراح جسد (منى) يرتجف، والدماء تنــزف من جروحها فى غزارة، وهى تشاهد ذلك الصراع العنيف، وأدهشها أن استعاد (أدهم) قوته على هذا النحو، وهتفت فى وهن :

- لا تجعله يقتلك يا (أدهم) .. قاتله حتى النهاية .

ولكن (موشى) أدار فوهة مسدسه نحو صدر خصمه، وهو يصرخ :

- فليكن يا (أدهم) .. أنت أردت هذا .

وضغط زناد مسدسه ثلاث مرات ..

وانتفض جسد (منى) مع دوى الرصاصات ..

وعلى الرغم من تلك الغيبوبة، التى تهاجم عقلها فى شراسة، شاهدت (منى) الدماء تتفجّر من صدر زميلها، ولكنه، وعلى الرغم من هذا، لم يتخلّ عن(موشى)، الذى راح يصرخ فى ثورة مجنونة :

- اتركنى وإلا مزّقت يدك .. هل تسمعنى ؟

ومع آخر حروف صرخته، دوى انفجار القنبلة الأولى ..

وصرخت (منى) فى ارتياع ..

وأمام عينيها الملتاعتين ، شاهدت النيران تشتعل فى مقدّمة السيارة ، التى بدأت تنحدر نحو الهاوية ، وبداخلها زميلها ، والدماء تغمر جسده ، من تأثير الرصاصات وشظايا الانفجار ، ولكنه لم يتخلّ بعد عن خصمه ، الذى أصابت الشظايا جسده أيضًا ، وكأنما بعث (الأدرينالين)(★) ، الذى تدفّق فى عروقه ، من أثر الغضب ، قوة هائلة فى نفسه ، جعلته أشبه ببطل أسطورى ، يخشاه الموت نفسه ..

وراح الخصمان يتقاتلان فى استماتة ، على الرغم من جراحهما ، والسيارة التى تحملهما إلى الهاوية ، و (منى) تصرخ فى انهيار وإهن :

ـ لا يا (أدهم) .. لا .. حاول أن توقف السيارة .. حاول يا (أدهم) .

ولكن السيارة بلغت حافة الهاوية ..

وانفجرت القنبلة الثانية ..

ومع انفجارها ، انفطر قلب (منى) فى صدرها ..

لقد بدت لها وكأنها انفجرت فى قلب زميلها ، ووجه غريمه اللدود ، والسيارة تهوى كشهاب مشتعل(★★) ، مقترن بصرخة (منى) الهائلة :

(★) الأدرينالين : المادة الفعّالة فى إفراز الغدة فوق الكلوية (الكظرية) ، وهو هرمون يعمل على حفظ مستوى الضغط المعتاد ، فى الدورة الدموية ، واستخدامه بالحقن يؤدى إلى انقباض الأوعية الطرفية .

(★★) الشهب : قطع صغيرة صلبة من المادة الكونية ، تدخل الغلاف الجوى للأرض بسرعة كبيرة ، فتحترق بسبب الاحتكاك الشديد .

ـ لا .. لا !!! .

ومع نهاية صرختها ، دوى انفجار القنبلة الأخيرة ..

وكان انفجارًا هائلًا رهيبًا ، يستحيل أن ينجو منه حتى رجل المستحيل نفسه ..

انفجار ارتجّت له المنطقة كلها ، وارتفع معه لسان لهب رهيب ، وكأن الشمس انتقلت بغتة ، من الشرق إلى الغرب ..

وهنا انهارت (منى) تمامًا ..

لقد شاهدت بعينيها ما ظلت تخشى رؤيته طيلة عمرها ، وتراه فى أبشع كوابيسها ..

شاهدت مصرع (أدهم صبرى) ..

مصرع (رجل المستحيل) ..

الكابوس أصبح حقيقة ..

وحاولت أن تصرخ ..

أو تبكى ..

ولكن شيئًا لم يحدث ..

لقد أصابتها صدمة هائلة ، وهى ترى ما انتهت إليه مهمة (أدهم صبرى) الأخيرة ..

وعلى الرغم من تصاعد الشمس إلى السماء ، وأشعتها الذهبية التى راحت تغمر كل شىء ، بدت الدنيا أمام عينى (منى) وكأنها تمرّ بمرحلة غروب أخيرة ، والظلام ينتشر ، وينتشر ..

ثم أظلمت الدنيا تمامًا ..

وكانت النهاية ..

نهاية المهمة الأخيرة .

★ ★ ★



٢ ـ ما قبل النهاية ..

لكل شىء نهاية ..

ولكل نهاية بداية ..

ولو أن ما سبق هو نهاية المهمة ، فكيف كانت البداية ، التى أدت إلى كل هذا ؟..

والبداية كانت تتعلّق بتلك المنظمة الجديدة ، التى أنشأتها (سونيا جراهام) ، تحت اسم (سناك) ..

منظمة جاسوسية خاصة ، تقودها أفعى (الموساد) السابقة ، فى محاولة للسيطرة على هذا العالم السرى الغامض ، وبسط نفوذها وسطوتها على العالم أجمع ..

وفى سبيل الوصول إلى هذا الهدف ، زرعت (سونيا) عملاء منظمتها فى أجهزة المخابرات الشهيرة فى العالم ، واستعانت برجل المخابرات السوفيتى السابق (ألكسى ميلانوفيتش) ، الشهير باسم (الصقر) ، لتنفيذ مخطط شيطانى جهنمى ، يعتمد على تهديد عواصم العالم الكبرى بالنسف ، عن طريق قنابل نووية مدسوسة داخلها ، لفرض الهيمنة على كل نظم الحكم فى آن واحد ..

والتقطت (مصر) طرف الخيط، الذى يمكن أن يقودها إلى المنظمة، وانطلق فريق يتكوَّن من (أدهم صبرى)، و (منى توفيق)، و (حسام حمدى)، لتنفيذ هذه المهمة الجديدة ..

وفى هذه المرة، انطلق كل منهم إلى دولة مختلفة ..

(منى) ذهبت إلى إيطاليا، و(حسام) إلى (أمريكا)، و (أدهم) إلى (إنجلترا) ..

وكان القتال عنيفًا شرسًا، على الجبهات الثلاث ..

(منى) قاتلت بكل قوتها فى (روما)، وتعرَّضت لمطاردات شرسة من عصابات (المافيا)، وكادت تلقى حتفها فى حادث سير رهيب، وعندما تصوَّرت أنها نجحت فى الفرار، وعبرت مواطن الخطر، وانتصرت فى حربها، فوجئت برجال (المافيا) يهاجمونها، عن طريق مفتش الشرطة المرتشى (روسكوتيسى) ..

وسقطت (منى) فى قبضة أعدائها ..

فى قبضة (المافيا) ..

وفى (نيويورك)، قاتل (حسام) بمنتهى الشراسة؛ ليحصل على رقم هاتف (سونيا)، وقاتل شرطة (نيويورك) كلها فى بسالة مدهشة، أثبتت جدارته لحمل لقب (ن-٢)، ولكن أحد رجال (سونيا) دس له سم

(السيانيد)، الذى نجا منه بأعجوبة، وحاول أن يواصل الفرار، ولكن الرصاصات التى أصابته جعلته يفقد وعيه، ويسقط فى يد رجال الشرطة مرة ثانية ..

وبينما كان يرقد فاقد الوعى فى فراشه، حاول الرجل نفسه قتله مرة ثانية، عن طريق حقنة هواء مباشرة فى عروقه ..

ولم يكن هناك أمل فى نجاته هذه المرة ..

أما (أدهم)، فبدأ صراعه عنيفًا، مع سير (لانسلوت)، رجل المخابرات البريطانى السابق، وعميل (سونيا جراهام) الحالى ..

وتعرَّض (أدهم) لمحاولات القتل أكثر من مرة، ولكنه نجا منها، ونجح فى اختطاف (لانسلوت)، وحصل منه على ما يريد من معلومات، وعندما استعد للسفر إلى (نيويورك)، وبدء مرحلة القتال هناك، علم ما أصاب (منى) و (حسام)، واستعد للتدخل، ولكنه فوجئ بجيش من رجال الشرطة يحاصره، وبرجل المخابرات البريطانى (ريتشارد أكسيل) يصوِّب إليه مسدسه، ويعلنه أنه خسر معركته(★).

(★) لمزيد من التفاصيل، راجع الأجزاء الثلاثة السابقة (الصقر الأعمى)، و (القناص)، و (مذاق الدم) .. المغامرات أرقام (٩٧)، و (٩٨)، و(٩٩).

هكذا كان الموقف ..

ولكن كيف قاد هذا إلى تلك النهاية، التى بلغتها المهمة ؟..

ما الذى حدث بين هذه البداية، وما قبل النهاية ؟..

هذا هو السؤال ..

★ ★ ★

كل شىء كان يوحى بأن (أدهم) خسر معركته هذه المرة ..

المسدس المصوَّب إلى رأسه ..

رجال الشرطة المحيطون به ..

نظرات التحفز فى العيون ..

وحتى ابتسامة (أكسيل) الشامتة الساخرة ..

كل شىء، فيما عدا أمرًا واحدًا ..

(أدهم) نفسه ..

لقد بدا هادئًا، واثقًا، مبتسمًا، ساخرًا، وهو يعقد ساعديه أمام صدره، قائلًا :

- ياله من مشهد !.. إنك تثير غرورى فى الواقع يا رجل .. هل تظن حقًا أن الأمر يحتاج لهذا الجيش من رجال الشرطة، لإلقاء القبض على رجل واحد ؟

عقد (أكسيل) حاجبيه لحظة فى حنق، ثم قال :

- فى (انجلترا)، كل شىء يسير بمنتهى الدقة والحسم ..

بدت ابتسامة (أدهم) أكثر سخرية، وهو يقول :

- لقد عاصرت هذا كثيرًا .. كل شىء يتم وفق نظام محدد، وعلى نحو رسمى تمامًا، دون خطأ قانونى واحد .

هزَّ (أكسيل) كتفيه، وجذب إبرة مسدسه، وهو يقول فى حزم :

- ولهذا لا نخطئ أبدًا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة، قبل أن يقول :

- أتظن هذا حقًا ؟

انعقد حاجبا (أكسيل) فى غضب، وألصق فوهة مسدسه بصدغ (أدهم)، وهو يقول فى حدة :

- نعم .. هذا ما أظنه، وما أومن به تمامًا .. أخبرنى أنت بالله عليك، هل يبدو لك هذا الموقف وكأنه يحوى ثغرة واحدة، تسمح لك بالإفلات من حصارنا ؟

قال (أدهم) فى هدوء :

- إننى أعترف لكم بالتفوق، فقد نجحتم فى العثور علىَّ بسرعة مدهشة، على الرغم من الاحتياطات التى اتخذتها .

علت شفتى (أكسيل) ابتسامة مزهوة، أصابها (أدهم) بلطمة عنيفة، وهو يستطرد فى صوت استعاد الكثير من السخرية :

- ولكن هذا الموقف يحوى ثغرة ضخمة بالطبع .

عاد حاجبا (أكسيل) ينعقدان فى شدة، وهو يقول :

- أية ثغرة هذه ؟

خفض (أدهم) رأسه بسرعة، وهو يهتف :

- أنت .

قالها وهو ينحنى بسرعة البرق، ثم يجذب (أكسيل) إليه، ويرفع معصمه عاليًا، لتنطلق رصاصة مسدسه فى سقف كابينة الهاتف، وبعدها أداره حول نفسه فى حركة بالغة القوة والمهارة، وأحاط عنقه بذراعه، وهو يلوى معصمه، ليجبره على التخلى عن مسدسه، ثم يختطفه منه فى سرعة مدهشة، ويلصقه بمؤخرة رأسه ..

كل هذا، دون أن تنطلق رصاصة واحدة، من جيش رجال الشرطة، الذى يحيط بالمكان ..

وفى توتر عصبى، قال كبيرهم :

- اللعنة !.. لقد أسر مستر (أكسيل) .

أما (أكسيل)، فقد هتف فى حنق :

- كيف فعلت هذا ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية، وهو يقول :

قالها وهو ينحنى بسرعة البرق، ثم يجذب (أكسيل) إليه، ويرفع معصمه عاليًا ..

- أردت فقط أن أبين لك موضع الثغرة فى خطتك .. لقد دفعك غرورك إلى الاقتراب منى، وتصويب مسدسك إلى رأسى مباشرة، مما جعل منك حائلًا، يحول بين رجال الشرطة، وبينى، فمن منهم سيجرؤ على إطلاق النار، على رجل مخابرات بريطانى ؟

عضّ (أكسيل) شفته السفلى فى سخط ومرارة، وهو يتمتم :

- اللعنة !.. اللعنة !

قال (أدهم)، وهو يجذب إبرة المسدس مرة أخرى :

- هيًا يا صديقى .. مُر هؤلاء الدمى بالرحيل، فلدى حديث شخصى قصير معك .

هتف (أكسيل) .

- آه .. مثل حديثك مع (لانسلوت) .. اسمع يا هذا .. لن تحصل منى على حرف واحد، حتى ولو ...

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

- (لانسلوت) خائن .

انعقد حاجبا (أكسيل) بشدة، عندما سمع هذه العبارة، وقال فى حدة :

- لن يمكنك خداعى قط .. أنا أعرف (لانسلوت)، منذ ..

مرة أخرى قاطعه (أدهم)، قائلًا فى حسم :

- (لانسلوت) يعمل الآن لحساب منظمة جاسوسية جديدة، تعرف باسم منظمة (سناك)، وهو جزء من خطة تستهدف أمن (بريطانيا) كلها، هل سمعتنى جيدًا ؟

قال (أكسيل) :

- نعم .. سمعتك، ولكننى لا أصدّق حرفًا واحدًا من الـ....

قاطعه (أدهم) للمرة الثالثة :

- صدق أو لا تصدق .. هذا شأنك، ولكن مُر رجال الشرطة بالرحيل على الفور .

قال (أكسيل) فى تحدّ :

- وماذا لو لم أفعل ؟

هزّ (أدهم) كتفيه، وقال :

- لست أظنك تهتم عندئذ بما سيحدث، فالموتى لهم عالمهم الخاص يا رجل .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (أكسيل)، وهو يسمع تلك الإشارة الواضحة إلى مقتله، فعقد حاجبيه بضع لحظات، ثم لم يلبث أن أشار إلى الرجال قائلًا فى غضب :

- أمهلوه دقيقة واحدة لإطلاق سراحى، وبعدها أطلقوا النار على كلينا .

رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :
ـ عظيم .. أنت شجاع بحق .
ثم دفعه أمامه فى عنف ، نحو أقرب سيارة من سيارات الشرطة ، مستطردًا :
ـ ولكنك منحتنى دقيقة كاملة ، وهذا خطأ آخر .
بدا التوتر الشديد على وجوه رجال الشرطة ، وهتف أحدهم :
ـ احترس يا هذا .. لو حاولت سرقة سيارتنا ، سنطلق النار على الفور ، حتى ولو أدى هذا إلى مصرع الزميل .
قال (أدهم) فى سخرية ، وهو يجذب (أكسيل) إلى السيارة :
ـ هراء .. كلانا يعلم أن اللوائح تمنع هذا .
ووثب إلى مقعد القيادة ، مستطردًا :
ـ راجع الفقرة (ب) ، من المادة العاشرة .
قالها ، وضغط بدّال الوقود ..
وانطلق بالسيارة ..
وفى حنق ، صاح رجل الشرطة :
ـ اللعنة !.. إنه يحفظ لوائحنا .. هيّا .. انطلقوا خلفه يا رجال .
وبدأت مطاردة جديدة ، فى قلب (لندن) ..

وفى عصبية ، قال (أكسيل) :
ـ لن تذهب بعيدًا هذه المرة .. نصف رجال الشرطة فى (لندن) سيطاردونك فى استماتة .
قال (أدهم) ، وهو يخفض مسدسه :
ـ دعك من هذا ، واستمع إلىّ جيدًا .. إننى لم أكن كاذبًا أو مخادعًا ، عندما أخبرتك أن (لانسلوت) خائن .. إنه كذلك بالفعل ، وأنا هنا للحصول على ما لديه من معلومات ، بشأن منظمة جديدة ، تحمل اسم (سناك) ، نجحت فى ضمه إلى صفوفها ، فأصبح عميلها فى (بريطانيا) .
كانت لهجة (أدهم) واضحة الصدق إلى حد كبير ، مما جعل (لانسلوت) يقول فى توتر شديد :
ـ ولكن لماذا ؟.. (لانسلوت) ثرى ، وشهير ، وليس بحاجة إلى الخيانة .
قال (أدهم) :
ـ إنه مغامر ، وأمثاله يفتقرون أحيانًا إلى حسن التمييز ، عندما تلوح لهم مغامرة جديدة ، وخاصة بعد تقاعده من عمل المخابرات .
ازداد انعقاد حاجبى (أكسيل) ، وهو يراقب سيارات الشرطة ، فى مرآة السيارة الجانبية ، ثم سأل فى حذر :
ـ هل يمكنك إثبات هذا ؟

قال (أدهم) فى حزم :
ـ أمهلنى ساعة واحدة .
أجابه على الفور :
ـ اتفقنا .
وهنا ارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :
فى هذه الحالة ..
ودون أن يتمّ عبارته ، انحرف فجأة بالسيارة فى شارع جانبى ، وزاد من سرعتها بغتة ، فهتف قائد رجال الشرطة الذين يطاردونه :
ـ أسرعوا خلفه .. إنه يحاول الفرار .
أطلقت سيارات الشرطة أبواقها المميّزة ، وهى تنحرف خلف (أدهم) ، وتواصل مطاردته من شارع إلى آخر ، ولكنه كان ينطلق بسرعة جنونية ، جعلت أحد سائقى سيارات الشرطة يقول لقائده فى توتر :
ـ اللحاق به شبه مستحيل .. إنه شديدة المهارة والتهوّر فى قيادته ، و ..
قاطعه قائده فى لهفة مباغتة :
ـ ها هوذا .
لمح الرجل سيارة (أدهم) ، المتوقّفة إلى جانب

الطريق ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها قائده بعبارته ، فضغط فرامل سيارته بكل قوته ، وأطلقت إطاراتها صريرًا مخيفًا ، امتزج الجزء الأخير منه بارتطام السيارة الخلفية به ، وبصرخة قائده :
ـ احترس أيها الغبى .
ولكن السيارات كلها توقّفت إلى جوار سيارة (أدهم) ، وقفز منها رجال الشرطة كلهم ، يصوبون أسلحتهم إلى السيارة ، ولكنهم سمعوا صوت (أكسيل) من داخلها ، يهتف :
ـ لا تطلقوا النار .. إنه أنا .. وحدى .
أحاطوا بالسيارة فى سرعة ، وشاهدوا (أكسيل) يغادرها ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده ، فهتف به قائد الشرطة :
ـ مستر (أكسيل) .. أين ذهب ذلك الجاسوس ؟
أشار (أكسيل) إلى الشرق ، وهو يقول فى انفعال :
ـ لقد أوقف السيارة بغتة ، وانطلق فى هذا الاتجاه .
صاح القائد فى رجاله :
ـ أسرعوا يا رجال .. سنواصل المطاردة .
راقبهم (أكسيل) ، وهم ينطلقون نحو الشرق ، ثم أدار عينيه غربًا ، وغمغم :

ـ ساعة واحدة أيها المصرى .. ساعة ستتغيّر بعدها مفاهيم كثيرة .. كثيرة للغاية ..

★ ★ ★

لم يكد (أدهم) يصعد إلى سطح المبنى المجاور للسيارة، حتى وثب منه إلى مبنى آخر قريب، وراح يعدو عبر أسطح المبانى المتجاورة والمتلاصقة، فى اتجاه الغرب، حتى ابتعد عن المنطقة بمسافة كافية، فانتزع القناع الذى يخفى ملامحه الحقيقية، وعدّل هندامه، ثم هبط فى هدوء إلى الشارع، ونظر إلى ساعته، مغمغمًا:

ـ أتعشّم أن تكفينى هذه الساعة.

قالها، وتلفّت حوله فى اهتمام، ثم اتجه إلى أقرب هاتف، وأجرى اتصالًا هاتفيًا عبر البحار، ولم يكد يسمع صوت محدّثه، حتى قال:

ـ صباح الخير يا سيّدى .. أنا (أدهم).

هتف مدير المخابرات العامة المصرية فى لهفة:

ـ (أدهم) !.. كيف أنت يا رجل ؟.. إننا نشعر بالقلق من أجلك، وخاصة بعد ما أصاب (منى) و (حسام).

أجابه (أدهم):

ـ لقد علمت ما أصابهما يا سيّدى، وسأتحرّك بسرعة من أجلهما، ولكننى أريد أن يسبقنا (قدرى) إلى (نيويورك)، مع حقيبة كاملة من أدواته وأوراقه الخاصة، فسنحتاج إليه بشدة هناك، أما أنا، فسأنهى مهمتى هنا، وأستعيد (منى)، ثم نلحق به هناك، لنعمل على إنقاذ (حسام) بإذن الله.

قال المدير فى اهتمام:

ـ تستعيد (منى) ؟!.. هل ستسافر إلى (روما) ؟

أجابه (أدهم) فى حزم:

ـ لو اقتضى الأمر يا سيّدى .. ولكننى لست أعتقد أن هذا سيكون ضروريًا ..

ربما اكتفيت ببعض المكالمات الهاتفية.

صمت المدير لحظة، ثم قال:

ـ فهمت .. وفقك الله يا ولدى.

أنهى (أدهم) المحادثة، ثم أدار رقمًا آخر، وانتظر حتى سمع صوت المتحدّث، فقال فى صرامة تمتزج بنبرة ساخرة:

ـ أهو أنت يا (مور) ؟.. لقد تعرّفت صوتك فورًا أيها الوغد، فهو يشبه نهيق الحمير .. هيّا .. صلنى بسيدك (لانسلوت) .. قل له: إننى أرغب فى التحدّث إليه، و ...

قاطعه صوت (لانسلوت)، وهو يقول فى عصبية:

ـ إذن فقد نجوت !!

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة، وقال:

ـ ما هذا ؟!. أنت تهوى التصنت على المحادثات إذن .. فليكن أيها المتلصّص .. أردت فقط أن أخبرك أن لدى دليلًا يكفى لإدانتك، بتهمة الخيانة.

قال (لانسلوت) فى حدة:

ـ أنت كاذب.

أجابه (أدهم):

ـ يمكنك أن تفترض هذا، ولكننى مستعد لمنحك هذا الدليل، مقابل مليون جنيه استرلينى .. لا تتسرع بالجواب الآن .. خذ وقتك للتفكير .. إننى أمنحك ربع ساعة، وبعدها سنلتقى فى مكان ما، لتسلمنى النقود، وتتسلّم الدليل .. ولكن حذار .. سأغادر بلادكم بعد ساعة واحدة .. هل فهمت ؟

صمت (لانسلوت) لحظة، ثم قال:

ـ وأين تحب أن نلتقى ؟

ولم يصدّق أذنيه، عندما قال (أدهم) فى هدوء:

ـ فى قصرك.

أجابه بسرعة:

ـ فليكن .. سنلتقى فى قصرى بعد ساعة واحدة .. أنا فى انتظارك.

أنهى (أدهم) هذه المحادثة، والتقط نفسًا عميقًا، وهو يغمغم:

ـ بقيت محادثة هاتفية واحدة .. المحادثة الأكثر أهمية.

والتقط سمّاعة الهاتف مرة أخرى ..

وطلب رقمًا جديدًا فى مكان آخر ..

فى (روما) ..

أما (لانسلوت)، فقد أعاد سمّاعة الهاتف إلى موضعها، وهو يعقد حاجبيه فى شدة، فسأله (مور) فى قلق:

ـ أتظنه صادقًا يا سيّدى ؟

هزّ (لانسلوت) رأسه نفيًا، وقال:

ـ كلّا .. إنه يلعب لعبة ما.

همس (مور) فى قلق:

ـ لحساب من ؟

مطّ (لانسلوت) شفتيه لحظة، قبل أن يغمغم:

ـ لست أدرى .. لقد حصل بالفعل على ما يسعى إليه ولكن ..

صمت طويلًا، قبل أن يتم عبارته، وأعلنت ملامحه استغراقه فى تفكير عميق، حتى أن (مور) سأله فى توتر :

ـ ولكن ماذا يا سير (لانسلوت) ؟

التفت إليه (لانسلوت)، وتطلّع إليه بضع لحظات فى صمت وشرود، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هذا الرجل يريد الإيقاع بى يا (مور) .

تراجع (مور) كالمصعوق، وهو يهتف :

ـ حقًا ؟!

اعتدل (لانسلوت) فى حماس، وهو يقول :

ـ نعم يا (مور) .. التفسير الوحيد لعودة هذا الرجل إلينا، بعد أن حصل على ما يبتغى، هو أنه يسعى للإيقاع بى .. أراهنك أنه سيأتى حاملًا جهاز تصنت دقيق، ينقل حديثنا إلى رجال المكتب الخامس، أو مكتب رئيس الوزراء .

سأله (مور) متوترًا :

ـ وماذا سنفعل إزاء هذا يا سيدى ؟

أجابه (لانسلوت) فى حزم :

ـ هناك أمران يمكن فعلهما يا (مور)، إما أن نطبق شفاهنا طوال الوقت، أو ...

وبرقت عيناه فى جذل وحشى، وهو يستطرد :

ـ أو نعد لصديقنا (أدهم) مفاجأة .. أكبر مفاجأة فى حياته .

وازداد بريق عينيه، مع إضافته :

ـ وأكثرها خطورة .

وانطلقت من حلقه ضحكة عالية .. ورهيبة .

* * *



٣ ـ المفاجـأة ..

على الرغم من أن (جونز) مفتش شرطة محترف، عاصر الكثير من الأحداث العنيفة والقاتلة، وواجه الموت عشرات المرات، إلا أن جسده كله كان يرتجف فى انفعال واضح، داخل الحجرة رقم (٩)، فى مستشفى (بروكلين)، وهو يغرس إبرة محقن الهواء فى عروق (حسام) ..

ثم فجأة، تحوّلت ارتجافته هذه إلى انتفاضة قوية عنيفة ..

لقد فتح (حسام) عينيه بغتة، ورمقه بنظرة صارمة، جعلته يجذب إبرة المحقن فى عنف، ويتراجع هاتفًا فى ذعر :

ـ لم أكن أقصد هذا .

ثم لم يلبث أن أدرك سخافة موقفه، وهو يواجه رجلًا لا يكاد يستعيد وعيه، فتقدّم مرة أخرى نحو (حسام)، وهو يغمغم :

ـ اللعنة !.. لماذا فقدت أعصابى بهذه السرعة ؟

ولكن (حسام) ألقى نظرة مرهفة على المحقن الفارغ، فى يد (جونز)، وفهم اللعبة كلها على الفور، فتمتم فى غضب :

ـ أيها الوغد .

كشف (جونز) ذراعه مرة أخرى فى قسوة، وهو يقول :

ـ اصمت أيها المصرى اللعين .. سأحقنك بهذا الشئ فى هدوء، وينتهى الأمر كله فى لحظات، وتعود إلى نوم أبدى هذه المرة، و ...

وفجأة، دفعه (حسام) بيده .. بكل ما يملك من قوة، وهو يغمغم :

ـ ابتعد أيها الحقير .

كانت الدفعة مباغتة بالنسبة للمفتش (جونز)، الذى تصوّر أن (حسام) تحت تأثير مخدّر قوى، وأنه سيعجز حتى عن تحريك أصابعه، ففقد توازنه مع المفاجأة، وسقط مرتطمًا ببعض الأجهزة فى عنف، إلا أنه لم يلبث أن نهض فى غضب وحدة، قائلًا :

ـ أيها السخيف .. هل تظن أنك ستنجو منى هذه المرة ؟.. سأحقنك بجرعة مضاعفة من الهواء، على الرغم منك .

وجثم بثقله كله على صدر (حسام)، وأمسك ذراعه فى قوة، ودفع إبرة المحقن نحوه، و ...

وفجأة، انفتح الباب على مصراعيه، وظهر على عتبته أحد أطباء المستشفى، يهتف فى مزيج من الدهشة والاستنكار :

ـ ماذا تفعل عندك ؟

ولم تعد أعصاب (جونز) تحتمل ..

لقد انتزع فجأة مسدسه، وصرخ فى وجه الطبيب، بكل ما تجيش به نفسه من انفعالات :

ـ اغرب عن وجهى .

صاح الطبيب، وهو يتراجع مذعورًا :

ـ إنه يحمل مسدسًا .

وهنا ضغطت سبّابة (جونز) الزناد ..

وانطلقت الرصاصة ..

لم يدر لماذا فعل هذا بالضبط ؟ ولكنه لم يعد يحتمل تلك التوترات العصبية المتتالية ..

وكانت هذه أكبر حماقة ارتكبها فى حياته ..

لقد أصابت رصاصته الطبيب، وألقته أرضًا فى عنف، وهو يُطلق صرخة ألم قوية، تردّد صداها فى المستشفى كله، فاستل رجال الحراسة مسدساتهم، واندفعوا إلى

الحجرة فى سرعة، واتسعت عيونهم من فرط المفاجأة، عندما رأوا زميلهم (جونز)، وهو يحمل مسدسه، ويصوّبه إليهم، صارخًا :

ـ تراجعوا أو أقتلكم جميعًا .

صاح به أحدهم :

ـ ألق مسدسك يا (جونز) .. لا تحاول المقاومة .

ولكن أعصاب (جونز) الثائرة، جعلته يصرخ :

ـ قلت تراجعوا .

وأطلق رصاصة من مسدسه ..

رصاصة واحدة. جاوبها رجال الحراسة بسيل منهمر من الرصاصات، اخترق كله جسد (جونز)، الذى أطلق صرخة هائلة، والرصاصات تنتزعه من مكانه، وتقذفه عبر الحجرة لمترين كاملين، فيرتطم بزجاج النافذة، ويحطّمه، ويهوى من الطابق الثالث إلى ساحة المستشفى، حيث ارتطم بسقف واحدة من سيارات الإسعاف، بدوى أيقظ المكان كله ..

وانطلق بوق سيارة الإسعاف، وراحت أضواؤها تتألّق فى تتابع منتظم، وتنعكس على وجه (جونز)، الذى خلا من كل معالم الحياة، فى حين هتف أحد رجال الحراسة فى ذهول :

ـ لماذا ؟.. لماذا فعل (جونز) هذا ؟

تمتم (حسام) فى تهالك :

ـ حاول أن يقتلنى .

صاح به الرجل :

ـ ولكن لماذا ؟

ابتسم (حسام) فى صعوبة، وهو يتمتم :

ـ سلوا (سناك) .

ثم هوى مرة أخرى فى غيبوبته العميقة ..

★ ★ ★

كان الموقف الذى يواجه (منى) رهيبًا بحق ..

الأشرار يحيطون بها من كل جانب، وعلى وجوههم ابتسامة شامتة ساخرة وحشية، وأحدهم يمسك يديها فى قوة، ويدفعهما نحو لوحة الطهى، التى تتقافز فوقها نقاط الزيت المغلى، و (لويجى) يبتسم فى شغف دموى، فى حين يهتف به مساعده (مارشيللو) فى لهفة وحشية :

ـ هيّا يا زعيمى .. اصنع من كفيها شواءً طازجًا .

وقهقه الضخم الذى يمسك كفيها فى سخرية ..

وهنا، هتفت (منى) بكل الانفعال الذى يسيل فى عروقها :

ـ أيها الأوغاد .

ثم مالت بجسدها كله إلى الخلف، وركلت لوحة الطهى بكل قوتها، فى وجه (لويجى) ..

وصرخ الإيطالى صرخة هائلة، والزيت المغلى يغمر وجهه، الذى تصاعدت منه أبخرة مقيتة، فى حين صاح (مارشيللو)، وهو يستل خنجره :

ـ أيتها اللعينة !.. سأمزّقك إربًا من أجل هذا .

ولكن (منى) دفعت جسدها مرة أخرى إلى الأمام، فى مهارة مدروسة، وانحنت فى دقة وسرعة ورشاقة، فوجد الضخم نفسه يطير من فوقها، ويدور حول نفسه، ثم يرتطم بجسد (مارشيللو)، بكل ثقله وضخامته ..

وسقط الرجلان أرضًا، فى نفس اللحظة التى صرخ فيها (لويجى)، وقد ألهب الزيت المغلى وجهه كله :

ـ اقتلوها .. اقتلوا هذه اللعينة .

ومع صرخته، انتزع باقى الرجال مسدساتهم، وصوّبوها نحو (منى) ..

ولكن أحدهم لم يضغط الزناد ..

كانت تتحرّك فى سرعة وخفة ورشاقة، فى المسافة التى تفصلهم عن زعيمهم (لويجى)، الذى يواصل صراخه العصبى، حتى أنهم خشوا أن تصيبه رصاصاتهم، وارتبكوا بشدة، عندما رأوا (منى) تختطف مسدس (مارشيللو)، الذى هبّ صارخًا فى غضب :

ـ لن أسمح لك .



ثم مالت بجسدها كله إلى الخلف ، وركلت لوحة الطهى بكل قوتها ، فى وجه (لويجى) .. وصرخ الإيطالى هائلة ..

ولكن (منى) أخرسته بلكمة مباشرة فى أنفه ، وهى تقول :

ـ ومن طلب إذنك ؟

ثم استدارت بسرعة إلى الرجال الآخرين ، و (لويجى) يصرخ كالمجنون :

ـ قلت : اقتلوها .. اقتلوها أو أقتلكم جميعًا .

ورأى الرجال (منى) تصوّب مسدسها إليهم ، فنسوا زعيمهم ، ورفاقهم ، وتفجّرت فى أعماقهم غريزة البقاء ، وانتشرت بسرعة فى أيديهم وأصابعهم ، فضغطوا أزندة مسدساتهم ، ولكن ..

بعد فوات الأوان ..

لقد ضغطت (منى) زناد مسدسها أوّلًا ، وانطلقت رصاصاتها تخترق أذرع الرجال وسيقانهم ، وتسقطهم أمامها كالذباب .

وكان هذا أحد الدروس ، التى تعلّمتها من (أدهم) .. ألا تقتل أبدًا ، ما دامت هناك وسيلة أخرى للنجاة ..

ولكن فجأة ، انقضّ عليها الرجل الضخم من الخلف ، وهو يطلق صرخة وحشية مخيفة ، وطوّق ذراعيها بذراعيه ، و (الويجى) يصرخ به :

ـ اقتلها يا رجل .. اقتلها .

وشعرت (منى) بذراعى الرجل تعتصرانها بقوة رهيبة ، جعلتها تصرخ ألمًا ، وتغلق عينيها فى عذاب ، وأنفاسها تتحشرج وتختنق فى صدرها .

وراح الضخم يطلق صرخاته المخيفة ، وهو يعتصر جسدها الضئيل أكثر وأكثر ..

وشعرت (منى) أنها تختنق ..

شعرت أن كل ضلع فى صدرها يصرخ ويئن ..

وأن كيانها سيتحطّم كله ..

وفى محاولة يائسة ، أدارت فوهة المسدس ، وألصقتها بفخذ الضخم ..

وضغطت الزناد ..

وأطلق الضخم صرخة ألم ، تتناسب مع حجمه الهائل ، وهو يحلّ ذراعيه من حول وسط (منى) ، التى استغلّت الفرصة لتنزلق مبتعدة عنه فى سرعة ، ثم دارت على عقبيها ، وهوت على فكه بمسدسها ، بكل ما تملك من قوة ، على نحو جعله يشهق فى عنف ، ويسقط أرضًا كجوال من حجر ..

ولكن سقوطه لم يستغرق أكثر من لحظة واحدة ، وثب بعدها واقفًا على قدميه ، فى نفس اللحظة التى انقضّ فيها (مارشيللو) عليها ، صارخًا :

ـ ماذا أصابكم يا رجال ؟.. كيف تهزمكم امرأة واحدة ؟

استقبلته (منى) بركلة كالقنبلة فى معدته ، وهى تقول :

ـ أنت وقح .

ثم وثبت لتركله مرة ثانية فى عنقه ، مستطردة :

ـ الرجل المهذّب لا يستخدم لفظ امرأة هذا ، مع من يلتقى بهن ، فى المجتمع الراقى .

ارتطم (مارشيللو) بالجدار ، وهو يصرخ :

ـ لقد فعلتها .. ضربتنى المرأة مرة أخرى .

اندفع (لويجى) والضخم نحو (منى) ، وألقى الأخير جسده عليها ، وهو يكبلها مرة أخرى بذراعيه ، مطلقًا صرخة غضب رهيبةَ هذه المرة ، فى حين هتف (لويجى) :

ـ سأشويها حية .. أقسم أن أفعل .

انضمّ إليهما (مارشيللو) ، والغضب يتفجّر من كل خلية من خلاياه ، وراحت (منى) تقاتل فى استماتة ، وهى تهتف :

ـ يا لكم من أوغاد !.. أتتكالبون لقتال فتاة وديعة مثلى .

قالتها ولكمت (لويجى) فى أنفه ، ثم استدارت تضرب (مارشيللو) فى صدره ، ولكن الضخم أحاط عنقها بذراعه ، وقيّد معصميها بأصابع كالفولاذ ، وهو يصرخ :

- أمسكت بها أيها الزعيم .

أمسك (لويجى) مسدسها فى سرعة ، وهتف :

- لا تفلتها هذه المرة يا رجل .

أما (مارشيللو) ، فهوى على فك (منى) بلكمة عنيفة ، جعلتها تهتف فى غضب :

- لم أقل لك : إنك وقح ؟

ثم وثبت بقدميها ، لتركل بهما (مارشيللو) ، فى أنفه وفكه فى آن واحد ، فتراجع ليرتطم بالجدار مرة أخرى فى عنف ، قبل أن تضغط هى زناد مسدسها ، هاتفة :

- خذ هذه الرصاصة الأخيرة يا (لويجى) .

كانت فوهة مسدسها مصوَّبة إلى السقف ، ولكنه تراجع مذعورًا ، عندما انطلقت الرصاصة ، فاستغلت (منى) تراجعه ، وضربت الجدار بقدميها ، لتدفع الضخم من خلفها فى عنف ، فاختل توازنه ، وسقط على ظهره ، مما منحها فرصة الإفلات من بين ذراعيه ، والقفز لالتقاط مسدس آخر ، صوَّبته إليهم ، هاتفة :

- والآن .. هل نضع كلمة النهاية ؟

فوجئت بصوت أجش غليظ من خلفها ، يقول :

- اقتراح وجيه .

استدارت فى سرعة ، لتواجه القادم الجديد ، إلا أنها تلقَّت ضربة عنيفة على رأسها ، جعلتها تترنح فى شدة ، وشعرت بيد قاسية تنتزع منها مسدسها ، مع صوت (لويجى) ، وهو يهتف فى لهفة :

- (مورتى) .. وصلت فى الوقت المناسب يا رجل .

جذبها (مورتى) من شعرها فى قسوة ، ولكمها مرة أخرى فى عنف ، وهو يقول :

- لست أدرى ماذا كنتم تفعلون بدونى .

أسرع إليه (لويجى) ، هاتفًا فى حرارة :

- أحسنت يا رجل .. لقد أثارت تلك اللعينة غضبنا بشدة .

قال (مورتى) ، وهو يلقى (منى) أرضًا :

- أهى البضائع التى أتيت من أجلها .

أجابه (لويجى) :

- إنها هى .. انظر ماذا فعلت بوجهى .. لقد شوَّهته تمامًا .

تمتمت (منى) فى سخرية ، على الرغم من تهالكها :

- عجبًا !.. إنك تبدو أكثر وسامة .

عقد (لويجى) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

- روح معنوية لا بأس بها ، بالنسبة لامرأة تنتظر الموت .

شمَّر (مورتى) عن ساعديه ، وقال :

- هل أبدأ العمل ؟

أجابه (لويجى) :

- كلا يا (مورتى) .. إننى لم أعد أرغب فى الحصول على أية معلومات منها .. لقد أصدرت حكمى عليها بالفعل .

واستطرد فى غضب مخيف :

- الإعدام حرقًا ..

وصاح فى (مارشيللو) ، الذى نهض والدماء تسيل من وجهه :

- أحضر الزيت .

- أسرع (مارشيللو) يحضر الزيت ، وهو يقول فى شماتة :

- هل نواصل عملنا ؟

أجابه (لويجى) ، وهو يختطف منه زجاجة الزيت :

- نعم .. ولكن على نحو مختلف .

وسكب محتويات الزجاجة على رأس (منى) ، مضيفًا فى وحشية :

- سنشعل فيها النيران مباشرة .

انتفض جسد (منى) فى عنف ، وهى تتخيَّل هذه الميتة البشعة ، وحاولت أن تقاوم هاتفة :

- أيها الوحوش .

ولكنها تلقَّت لكمة فى فكها ، وضربة عنيفة على رأسها ، أعادا إليها ذلك الدوار العنيف ، و (لويجى) يهتف :

- هيَّا .. ماذا تنتظر يا رجل ؟.. اشعل النار فيها .. هيَّا .

وبابتسامة مقيتة ، أشعل (مارشيللو) قدَّاحته ، واقترب منها ، قائلًا :

- بكل سرور أيها الزعيم .

تراجعت (منى) فى ارتياع ، ولسان اللهب يقترب منها ، و ...

« هذا يكفى .. » .

انبعث ذلك الصوت الصارم فجأة من المكان ، فاستدار الجميع إلى مصدره فى سرعة ، واتسعت عيونهم بشدة ، وسقطت القدَّاحة من يد (مارشيللو) ، وهو يتمتم فى توتر شديد :

- من ؟!

والواقع أنها كانت مفاجأة للجميع .. مفاجأة مذهلة .

★ ★ ★

٤ ـ نقطة الضعف ..

أشعلت (سونيا جراهام) سيجارتها فى عصبية واضحة، وهى تقول لمعاونها (تونى بورسالينو) فى توتر :

ـ إذن فقد لقى المفتش (جونز) مصرعه .

أومأ (تونى) برأسه ، فى توتر يبلغ ضعف توترها ، وهو يقول :

ـ هذا ما حدث ياسيّدتى.. ذلك الشيطان محظوظ بحق.. لو أنه بقى فاقد الوعى دقيقة إضافية ، لمّا استعاده قط.. (جونز) هو الذى فقد أعصابه ، وراح يطلق النار على زملائه من رجال الشرطة ، و ...

ازدرد لعابه بغتة ، عندما أتى على ذكر رجال الشرطة ، وبتر حديثه وهو يلقى نظرة على عدد منهم ، حول حوض السباحة ، قبل أن يسأل فى عصبية :

ـ وبمناسبة رجال الشرطة .. ما الذى يفعلونه هنا ؟

أجابته وهى تنفث دخان سيجارتها :

ـ (أنيتا) انتحرت .

قال فى دهشة :

ـ من ؟

خُيِّل إليه لحظة أنها ستجيبه ، إلا أنه فوجئ بها تنخرط فى البكاء بغتة ، وتهتف :

ـ (أنيتا) المسكينة يا (تونى) .. (أنيتا) لقيت مصرعها .

اتسعت عيناه فى دهشة بالغة ، وبدا له مظهرها وهى تبكى عجيبًا للغاية ، وقبل أن يسألها عما أصابها ، سمع من خلفه صوتًا متعاطفًا ، يقول :

ـ إنه حادث عرضى يا مسز (آرثر) .

فهم (تونى) الموقف على الفور ، وهو يلتفت متطلعًا إلى مفتش الشرطة (فيليب) ، الذى استطرد فى صوت حنون مشفق :

ـ لا توجد أية آثار للعنف أو المقاومة .. من الواضح أن المسكينة فقدت توازنها ، وسقطت فى الماء ، ولأنها لا تجيد السباحة ، فقد ...

أجهشت (سونيا) ببكاء مصطنع ، قبل أن يتم عبارته ، وألقت نفسها بين ذراعيه ، هاتفة :

ـ آه يا (فيليب) .. كان ذلك بشعًا .. لقد فوجئت بها هناك ، لن أنسى هذا قط .

كاد (تونى) يبتسم من فرط الإعجاب بذلك التمثيل المتقن ، إلا أنه كتم مشاعره هذه فى أعماقه ، وقال مواسيًا :

ـ إنه قدرها .

أجهشت (سونيا) بالبكاء مرة أخرى ، وأخفت وجهها فى صدر المفتش (فيليب) ، لتخفى عينيها الخاليتين من الدموع ، فربّت هذا الأخير على كتفها فى عطف ، وهو يغمغم :

ـ لقد انتهى كل شىء على ما يرام يا عزيزتى .. سنحمل الجثة ونرحل على الفور .. لن يدوم هذا العذاب طويلًا .

وكان (فيليب) عند وعده ، فلم تمض دقائق خمس ، حتى كان قد انصرف مع رجاله ، حاملين جثة المربية المسكينة ، فأطلق (تونى) لمشاعره العنان ، وهو يهتف :

ـ رائع .

التفتت إليه (سونيا) ، ونفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، قبل أن تقول فى برود :

ـ ما هو الرائع ؟

هتف بحرارة :

ـ ذلك الأداء الرائع يا سيّدتى .. إنك تستحقين جائزة (أوسكار)(★) على هذا المشهد الـ ...

(★) جائزة (أوسكار) : جائزة تمنح سنويًا بوساطة (أكاديمية الفنون السينمائية والعلوم) ، لأفضل عمل فى كل مجال من مجالات السينما ، كالتمثيل والإخراج ، والموسيقى التصويرية ، والديكور .. إلخ ، ولقد تم منحها لأوّل مرة عام ١٩٢٩م لشركة (بارامونت) ، عن فيلمها (الأجنحة) ، والجائزة تحمل اسم (أوسكار) ؛ لأن (مارجريت هيريك) رأت أنها تشبه عمل (أوسكار) .

بتر عبارته بغتة ، وازدرد لعابه فى توتر ، مع تلك النظرة الصارمة ، التى رمقته بها (سونيا) ، فابتلع باقى حديثه ، وغمغم :

ـ والآن ماذا سنفعل يا سيّدتى ؟

سألته (سونيا) :

ـ قل لى أوّلًا : ماذا فعلوا هم ؟

أجاب فى سرعة ، وكأنما أسعده أن يعودا إلى حديثهما الأوّل :

ـ لقد ضاعفوا الحراسة على حجرة ذلك الرجل ، وسيتم نقله فى سيارة إسعاف مصفحة خاصة إلى مستشفى آخر ، حيث يتم استجوابه ، فور استعادته لوعيه .

عقدت حاجبيها فى شدة ، وهى تقول :

ـ يا للأغبياء !.. هل تصوّروا أنه سيمنحهم الفرصة لذلك ؟

سألها فى حيرة :

ـ وما الذى يمكنه أن يفعل ؟

فركت كفيها ، وهى تقول فى عصبية :

ـ الكثير .. لا أحد يعرفه مثلى .

ثم التفتت إليه ، مستطردة فى حزم :

ـ قل لى : أما زال الدكتور (أحمد صبرى) يعمل لحسابنا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وسألها فى حيرة :
ـ ولكن ما علاقته بهذا الأمر .
قالت فى صرامة :
ـ علاقة وثيقة أكثر مما تتصوَّر .
ثم مالت نحوه ، مستطردة بعينين لامعتين :
ـ إنه نقطة الضعف فى شخصية ذلك الشيطان الذى نواجهه يا (تونى) .
واعتدلت لتنفث دخان سيجارتها فى قوة ، مضيفة :
ـ أكبر نقطة ضعف .
ولم يفهم (تونى) ما تعنيه ..
لم يفهم أبدًا ..

★ ★ ★

حك (فكتور مالينوف) ذقنه بسبَّابته ، فى شىء من التوتر ، وهو يتطلَّع إلى تلك الرءوس النووية الزائفة ، التى اصطفَّت فى مخزن صغير ، وارتفع صوت (ألكسى ميلانوفيتش) ، وهو يقول فى حماس :
ـ انظر يا رجل .. املأ عينيك بصورتها جيدًا .. هل يمكنك تفرقتها عن الرءوس الحقيقية .
هزَّ (مالينوف) رأسه فى بطء ، وهو يقول :
ـ مطلقًا .

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بهذا الرد المقتضب ، إلا أنه لم يلبث أن تابع دون توقُّف :
ـ إنها تشبهها فى كل شىء .. الحجم ، واللـــون ، والشكل .. وحتى فى الخدوش غير المنتظمة ، التى تنشأ من طول فترة التخزين .. ولكن ..
تلاشت ابتسامة (ألكسى) ، وهو يسأل فى قلق :
ـ ولكن ماذا ؟
أجابه (فكتور) فى تردد :
ـ النشاط الإشعاعى .. لست أثق فى قدرتكم على محاكاة النشاط الإشعاعى .
تنفس (ألكسى) الصعداء ، وأطلق ضحكة عالية طويلة ، أفرغ خلالها توتره ، قبل أن يقول فى مرح عصبى :
ـ بل ثق بهذا تمامًا يا رجل .. أنت تعلم أنه من المفروض ألا ينبعث من تلك الرءوس أى نشاط إشعاعى ، ولكن الواقع يقول : إن نذرًا يسيرًا من الإشعاع يتسرَّب فى المعتاد إلى الخارج ، ويمكن رصده بعداد (جايجر)(★) ،

(★) عداد (جايجر) : (جايجر مولر) : جهاز لكشف وعدد جسيمات أساسية معينة ، مثل جسيمات (بيتا) و (ألفا) ، ويتكوَّن أساسًا من أسطوانة ، يوجد بطول محورها إلكترون سلكى ، مع وجود فولت عالٍ عبر الفتحة ، بين جدار الأسطوانة والسلك ، ويترك بها قبل إحكام إغلاقها قليل من غاز ، ذِى ضغط منخفض .

ولقد راعينا هذه النسبة ، وقمنا بإضافة نسبة من المادة المشعة إلى الطلاء الخارجى للرءوس النووية الزائفة ، بحيث تعطى نفس القراءة تقريبًا .
بدا الارتياح على وجه (فكتور) ، وهو يغمغم :
ـ عظيم .
ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة عجيبة ، وهـو يستطرد :
ـ الأمر يبدو مطمئنًا تمامًا ، ولكن ..
قال (ألكسى) فى حدة :
ـ ولكن ماذا هذه المرة ؟!
هزَّ (فكتور) كتفيه ، وقال :
ـ يبدو لى أن المبلغ الذى ستدفعونه ، مازال لا يتساوى مع المخاطرة .
عقد (ألكسى) حاجبيه فى شدة ، وقال :
ـ اسمع يا (فكتور) ..
قاطعه (فكتور) فى برود ، وبابتسامة مستفزة :
ـ (فكتور) يا عزيزى (ألكسى) ، وليس (فكتور) .. لقد أصبحت لهجتك أمريكية إلى حد كبير .
قال (ألكسى) فى غضب :
ـ وأنت أصبحت شديد الجشع يا (فكتور) .

هزَّ (فكتور) كتفيه ، وقال :
ـ ولمَ لا ؟.. إنها صفقة العمر كما وصفتها يا رجل ، لم لا أحصل منها إذن على أفضل ما يمكننى .
زفر (ألكسى) فى حدة ، وقال :
ـ حسن .. كم تطلب هذه المرة ؟
مال (فكتور) نحوه ، وقال فى لهفة :
ـ ما رأيك فى مليون إضافى ؟
رمقه (ألكسى) بنظرة ساخطة ، قبل أن يقول :
ـ ومن يضمن لى أنها آخر مساومة ؟
وضع (فكتور) يده على صدره ، وقال فى حماس مصطنع :
ـ كلمة الشرف .
مط (ألكسى) شفتيه ، وقال :
ـ فليكن .. ستحصل على المليون الزائد .
برقت عينا (فكتور) بشدة ، وقال وهو يفرك كفيه :
ـ عظيم .. موعدنا غدًا إذن .. فى منتصف الليل .
أومأ (ألكسى) برأسه موافقًا ، وترك (فكتور) ينصرف ، ثم انتقل إلى النافذة ، يراقبه وهو يستقل سيارته ، وينطلق بها مبتعدًا ، ثم عقد حاجبيه فى شدة ، وغمغم :

ـ عندما ينتهى هذا الأمر ، ونمتلك السيطرة الكاملة على العالم ، أقسم أن يكون أوّل ما أفعله هو أن أجعل هذا الوغد يدفع الثمن .. ويدفعه غاليًا .

★ ★ ★

اقتحم (مور) حجرة مكتب سير (لانسلوت) ، وهو يهتف فى انفعال واضح :

ـ سيّدى .. لدينا ضيف .

رفع (لانسلوت) حاجبيه فى دهشة ، وألقى نظرة على ساعة يده ، قبل أن يقول :

ـ عجبًا !.. لقد وصل بسرعة .. كنت أتوقع أنه لن يصل قبل نهاية الساعة .

لهث (مور) فى انفعال ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سير (لانسلوت) ، ولكن الضيف الذى وصل ليس هو من نتوقّعه .

عقد (لانسلوت) حاجبيه ، وهو ينهض من مقعده ، متسائلًا فى قلق :

ـ من ضيفنا إذن ؟

فوجئ بشخص مألوف ، يزيح (مور) جانبًا ، ويدلف إلى الحجرة ، وهو يجيب :

ـ أنا يا سير (لانسلوت) .

ولوهلة ، حدّق سير (لانسلوت) فى وجه القادم بدهشة ، إلا أنه لم يلبث أن سيطر على انفعالاته بسرعة ، ورسم على شفتيه ابتسامة ترحاب ، وهو يقول :

ـ (ريتشارد أكسيل) .. مرحبًا بك يا صديقى .. لم أتوقّع رؤيتك مرتين فى يوم واحد .

صافحه (أكسيل) فى برود ، وهو يسأله :

من كنت تتوقّع يا (لانسلوت) ؟

لوّح (لانسلوت) بكفه ، وقال فى مرح زائف :

ـ لا تقلق نفسك بهذا .. إنه مجرّد ..

قاطعه (أكسيل) بنفس البرود :

ـ هل تحب أن أخبرك أنا ؟

عقد (لانسلوت) حاجبيه فى شك ، وهو يتطلّع إلى (أكسيل) ، الذى مال نحوه ، مستطردًا فى لهفة ذات مغزى :

ـ اسمه (أدهم صبرى) ، وهو رجل مخابرات مصرى .. أليس كذلك ؟

لم يجب (لانسلوت) ، وإنما ازداد انعقاد حاجبيه ، حتى بدا وكأنهما سيمتزجان فى خط واحد متصل ، و (أكسيل) يتراجع ، قائلًا :

ـ أراهنك أنك تتساءل : كيف علمت أنا هذا ؟

ظلّ (لانسلوت) يرمقه بنظرة الشك ، دون أن يجيب .. فاتخذ (أكسيل) مقعدًا ، ولوّح بكفه ، قائلًا :

ـ هو أخبرنى بنفسه .. (أدهم صبرى) شرح لى ما سيفعله .. إنه سيأتى إلى هنا ، ويحاول استدراجك للحديث عن المنظمة الجديدة ، و (جوان) ، وكل شىء .. باختصار .. سيحاول إدانتك بتهمة الخيانة .

قال (لانسلوت) فى خشونة :

ـ وهل تصدّق شيئًا من هذا ؟

أطلق (أكسيل) ضحكة عالية ، قبل أن يميل نحو (لانسلوت) مرة أخرى ، قائلًا :

ـ نعم يا عزيزى (لانسلوت) .. أصدق كل هذا .. أصدق كل حرف منه .

ارتجف (مور) فى توتر ، وهو يتطلّع إلى سيّده ، الذى قال فى حدة :

ـ (أكسيل) .. إنك ترتكب خطأ فادحًا ، لو أنك ..

قاطعه (أكسيل) بإشارة من يده ، وهو يقول :

ـ لا تحاول يا عزيزى (لانسلوت) .. لست فى حاجة لمن يؤكد لى صلتك بمنظمة (سناك) الجديدة .. أنا أعلم هذا جيدًا .

ثم أخرج شيئًا من جيبه ، ووضعه أمام (لانسلوت) ، مستطردًا :

وإليك الدليل .

حدّق (لانسلوت) و (مور) فى ذلك القرص ، الذى وضعه (أكسيل) أمامهما ، والذى يحمل رسمًا لأفعى تلتف حولها نفسها ، وفى وسطها حرف (S) كبير ، وهتف الأوّل فى دهشة بالغة :

ـ (أكسيل) .. أنت ..

قاطعه (أكسيل) بضحكة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ نعم يا عزيزى (لانسلوت) .. هذا ما لم يخطر ببالك قط ، ولم يجعل بخاطر ذلك المصرى الأحمق ، وهو يشرح لى موقفك ، ويطالبنى بمعاونته على إثبات علاقتك بمنظمة (سناك) ، وإدانتك بتهمة الخيانة .

وبرقت عيناه وهو يضيف :

ـ نعم يا (لانسلوت) .. أنا أيضًا أعمل لحساب (جوان آرثر) .

امتلأت ملامح (لانسلوت) و (مور) بدهشة بالغة ، استغرقت عدة ثوان ، قبل أن يهتف الأوّل :

ـ مستحيل !.. لا يمكننى تصديق هذا !

ابتسم (أكسيل) ، وقال :

- لماذا يا عزيزى (لانسلوت) ؟.. إنه أمر طبيعى ، فعزيزتنا (جوان) لن تكتفى برجل واحد فى (لندن) .. إنها تحتاج إلى رجلين على الأقل ، حتى يؤكد أحدهما باستمرار إخلاص الآخر ، وكل منهما يجهل أن زميله يعمل لحسابها .. وكان من الممكن أن نجهل هذا إلى الأبد ، لولا تلك المصادفة .

هتف (مور) :

- يا له من موقف !

نهض (أكسيل) واقفًا ، وهو يقول :

- دعنا نحتفل بهذه المناسبة ، ونراجع معًا خطتنا لمواجهة ذلك المصرى ، الذى يسعى لكشف سرنا .

سأله (لانسلوت) فى اهتمام :

- هل أبلغت الأمر للمنظمة ؟

قال (أكسيل) :

- أية منظمة ؟

أجابه (لانسلوت) فى حدة :

- منظمتنا يا رجل .. المنظمة التى نعمل لحسابها .. منظمة (سناك) .. هل أبلغتهم ما حدث فى الـ...

بتر عبارته بغتة ، عندما ارتسمت على شفتى (أكسيل) ابتسامة ساخرة عجيبة ، وبدت نظرة ظفر واضحة فى عينيه ، وقال فى ترذد :

- (ريتشارد) .. لماذا تبدو وكأنك ...؟

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وبتر عبارته ليهتف فى غضب :

- اللعنة !.. إنك لست (ريتشارد) .

أتاه صوت (أدهم) الساخر ، من بين شفتى الرجل الواقف أمامه ، والذى كان منذ لحظة واحدة يحمل صوت وهيئة (ريتشارد أكسيل) ، وهو يقول :

- بالطبع .. أنا لست (ريتشارد) .

تراجع (مور) كالمصعوق ، فى حين اتسعت عينا (لانسلوت) فى ذهول ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) ، الذى انتزع قناع (أكسيل) ، وهو يستطرد :

- عندما تحدثت إليك هاتفيًا ، كنت أعلم أن أول ما سيخطر ببالك ، هو أننى أسعى للإيقاع بك ، ومن الطبيعى والحال هكذا أن تلتزم الصمت تمامًا ، وتتظاهر بعدم معرفتى ، وبعدم سماع اسم (سناك) من قبل ؛ لذا فقد أتيت إليك بصفتى (أكسيل) ، ولكننى لم أكن أتوقع فى الحقيقة أنك تفتقر إلى الشعور بالحذر إلى هذا الحد ، حتى أنك اعترفت صراحة بانتمائك الى منظمة (سناك) ، خلال دقيقة واحدة .



اتسعت عينا (لانسلوت) فى ذهول ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) ، الذى انتزع قناع (أكسيل) ..

تمتم (لانسلوت) فى حنق ومرارة :

- كانت خدعة متقنة بحق .. شارة المنظمة ، واسم (جوان) ، و...

ثم انعقد حاجباه فجأة ، وقال فى صرامة :

- ولكن هذا لن يغير من الأمر شيئًا .

قالها ، وضغط زرًا فى مكتبه ، فهبطت حواجز فولاذية على الأبواب والنوافذ ، وبدأ غاز رمادى ينبعث من فتحات دقيقة بالسقف ، و (لانسلوت) يستطرد فى عصبية :

- ستسير خطتى فى مجراها الطبيعى .. لم يعد هناك مخرج واحد من هذه الحجرة ، وأنا و (مور) نرتدى مصفاة غاز خاصة ، تمنعنا من التأثر بذلك الغاز السام .. الذى ينبعث من السقف ، والذى سيقتلك خلال دقيقتين فحسب .. الوداع يامستر (أدهم) .. الوداع .

وراح يطلق ضحكات جنونية عجيبة ، والغاز السام يواصل انبعاثه وينتشر ..

وينتشر ..

وينتشر ..

★ ★ ★

٥ ـ الزعيمــة ..

كان جسد (منى) كله ينتفض فى عنف، وهى تراقب قدّاحة (مارشيللو). التى تهم شعلتها الصغيرة بتحويلها إلى لسان من اللهب ..

ويا لها من ميتة بشعة !!

وعلى الرغم من كل الرعب فى أعماقها، وجدت نفسها تصرخ مستنجدة بالرجل الوحيد، فى هذا العالم، الذى يبعث ذكر اسمه كل الأمن فى أعماقها ..

(أدهم صبرى) ..

وفى داخلها، ودون أن يخرج من بين شفتيها حرف واحد، صرخت (منى) :

ـ أنقذنى يا ((أدهم) .. أنقذنى .

وفى اللحظة نفسها، انبعث ذلك الصوت الصارم، قائلًا :

ـ هذا يكفى .

واستدار الجميع يتطلعون إلى صاحبة الصوت، فى ذعر وذهول ..

إلى المرأة الوحيدة، فى تاريخ (المافيا)(*) كلها، التى حملت لقب (الأب الروحى)(**) ..

دونا (كارولينا)(***) ..

كانت تقف هناك، عند مدخل المكان، بجمالهــا الصقلى(****) المثير، ونظراتها الصارمة القاسية، التى تطلّ من عينين ساحرتين، وهى تنفث دخان سيجارة طويلة رفيعة، تستقر فى مبسم من الذهب الخالص، وحولها أربعة رجال فى ضخامة الثيران، وبرود الثلج، وقسوة الصحراء ..

وارتجف (لويجى)، وهو يغمغم مرتبكًا :

ـ دونا (كارولينا) ؟!.. ماذا تفعلين هنا ؟

(*) المافيا : عصابات منظمة من قطاع الطرق، نشأت فى القرنين التاسع عشر والعشرين، فى (صقلية) وجنوب (إيطاليا)، وأصبح لها نفوذ سياسى واضح، كما نقلها المهاجرون إلى (أمريكا)، حيث مارست أعمالًا غير قانونية، تدر أرباحًا بالملايين .

(**) الأب الروحي : لقب يحمله زعيم عصابات (المافيا)، وهو فى المعتاد كبير الأسرة، التى نشأت منها هذه العصابات، واللقب تتوارثه الأجيال .

(***) راجع قصة (دونا كارولينا) .. المغامرة رقم(٦٠) .

(****) صقلية : جزيرة بـ (إيطاليا)، تتمتع بالحكم الذاتى، ويفصلها عنها مضيق (مسينا)، عاصمتها (بالرمو)، وهى أكبر جزر البحر المتوسط، وأكثرها سكانًا .

ارتسمت ابتسامة باردة صارمة، على شفتى دونـا (كارولينا)، وهى تقول :

ـ هل تستنكر وجودى فى مزرعتك يا (أنطونيو) ؟

أربكته الإجابة أكثر، وهو يقول :

ـ كلّا يا دونا .. هذا لا يزعجنى مطلقًا .. إنه لشرف لى أن تزورى مزرعتى، ولكن .. ولكننى أتساءل عن السبب، الذى ...

تجاهلته تمامًا، وهى تلتفت إلى (مارشيللو)، وتقول فى برود :

ـ ما الذى تفعله بهذه القدّاحة يا (مارشيللو) ؟

أسرع (مارشيللو) يطفئ قدّاحته، وهو يقول :

ـ لا شيء .. لا شيء يا دونا .

ابتسمت (كارولينا) فى ثقة، والتفتت إلى (منى)، وألقت عليها نظرة طويلة، قبل أن تعود للنظر إلى (لويجى)، قائلة :

ـ لماذا لم تبلغنى بما تنوى فعله يا (أنطونيو) ؟.. ألم تعد بحاجة إلى مباركة العائلة ؟

عقد (لويجى) حاجبيه، وهو يقول :

ـ دونا .. إنه أمر شخصى .

ابتسمت على نحو أثار قلقه، وهى تقول :

ـ أتعنى أنك لم تعد تنتمى إلى العائلة ؟

هتف فى انزعاج :

ـ أنا لم أقل هذا .

ثم أشار إلى وجهه، واستطرد فى عصبية :

ـ ولكن انظرى ما فعلته بى هذه اللعينة .. هل أغفر لها تشويهها لوجه أحد رجال (المافيا) .

نفثت (كارولينا) دخان سيجارتها مرة أخرى، وقالت :

ـ ولكن لماذا أخفيت الأمر يا (أنطونيو) .. إنك حتى منعت مساعدك (لورين) من الإفصاح عن مكانك .

ورفعت حاجبيها، ثم خفضتهما، وهى تستطـرد بابتسامة باردة :

ـ ولكننى أعترف أن (لورين) هذا مخلص بحق .. أتعلم .. لقد اضطررنا لتحطيم ذراعيه، وكسر بعض أسنانه، قبل أن يفصح عن المكان، الذى اصطحبت إليه هذه الفتاة .

ارتجف الرجال فى ارتياع، فى حين فغر (لويجى) فاه مغمغمًا :

ـ ولكن لماذا يا دونا .. لماذا فعلت هذا ؟

هزّت كتفيها فى لا مبالاة، قائلة :

ـ معذرة يا عزيزى .. كنت فى عجلة من أمرى، والرجل يصرّ على الصمت .. ماذا يمكننى أن أفعل ؟

قالتها فى هدوء كامل ، ثم أشارت إلى (منى) ، قائلة :
ـ أطلقوا سراحها .
هتف (مارشيللو) بسرعة :
ـ كما تأمرين يا دونا .
ولكن (لويجى) اعترض قائلًا :
ـ ليس هذا من حقك يا دونا .
رفعت حاجبيها الجميلتين فى دهشة بالغة ، وهى تقول :
ـ ليس من حقى ؟!
قال (لويجى) فى عصبية شديدة :
ـ نعم يا دونا .. إنها أسيرتى أنا .. ومن حقى وحدى تحديد مصيرها .. ثم إنك تحتلين منصبك هذا على نحو يخالف القواعد .
رمقته بنظرة باردة كالثلج ، وهى تقول :
ـ حقًا ؟!
اندفع يقول فى حدة :
ـ نعم يا دونا .. منذ نشأت العائلة ، لم نسمع قط عن نساء فى منصب الزعامة .. المكان الطبيعى للصقليات هو المنزل ، حيث ينجبن ، ويرعين أطفالهن .. ما شأنك أنت بالزعامة ؟!.. كيف تحمل امرأة لقب (الأب الروحى) ؟!

ارتسمت على شفتى (كارولينا) ابتسامة مخيفة ، وهى تقول :
ـ بالفعل .. ما شأنى أنا ؟
ثم اتجهت نحو (منى) ، وقالت متجاهلة (لويجى) تمامًا :
ـ إذن فأنت صديقة (أدهم صبرى) .
تطلعت إليها (منى) فى دهشة ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فرفعت (كارولينا) حاجبيها وخفضتهما ، ثم استطردت :
ـ لقد كان شديد اللهفة ، عندما اتصل بى من (لندن) ، وطالبنى بالتدخل لإنقاذك .. أتصدقين ؟! لقد شعرت بالغيرة منك ، وهو يتحدث عنك بكل هذه اللهفة وكل هذا الخوف .. المرأة التى تثير كل هذه المشاعر ، فى رجل مثل (أدهم) ، تستحق كل التقدير بالتأكيد .. تقبلى تهنئاتى المخلصة .
خفق قلب (منى) ، وهى تسمع هذا الحديث ، وكادت تصرخ :
ـ كم أحبك يا (أدهم) .
ولكن حياءها كتم الصرخة فى أعماقها ..
إذن فهو (أدهم) ..

حتى وهو بعيد عنها بمئات الكيلومترات ، يسعى ويتدخل لإنقاذها ..
إنه لا يتخلى عنها أبدًا ..
وترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تكاد تبكى ، من فرط التأثر والسعادة ، والفرحة بنجاتها من الموت ، على هذا النحو ..
أما (لويجى) ، فهتف محنقًا :
ـ لا يمكنك أن تسمحى لهذه الفتاة بالانصراف يا دونا .. إنها تعرف الكثير الآن ، و ...
قاطعته (كارولينا) :
ـ الكثير عن ماذا ؟
جاء السؤال مباغتًا ومربكًا ، حتى أنه عقد لسانه لحظات ، قبل أن يتنحنح ، متمتمًا فى توتر شديد :
ـ دونا .. كنت سأخبرك بالأمر كله ، و ...
تجاهلته (كارولينا) بغتة ، وهى تقول لـ (منى) :
ـ عجيب هو صديقك (أدهم) هذا .. إنه يطالبنى بإنقاذك ، ويستخدم لهجة آمرة ، كما لو كنت مضطرة لهذا ، ثم يقول فى صرامة : (كارولينا) .. افعلى هذا دون إراقة الدماء .

قالت الفقرة الأخيرة مقلدة أسلوب (أدهم) ، ثم ضحكت قائلة :
ـ ألا يدهشك هذا ؟
هزت (منى) رأسها نفيًا ، وقالت :
ـ كلا .. هذا هو (أدهم) .
أومأت (كارولينا) برأسها موافقة ، وقالت :
ـ نعم .. هذا هو (أدهم) .
ثم اعتدلت ، والتقطت نفسًا عميقًا من الهواء ، قبل أن تشير إلى رجالها الأربعة ، قائلة :
ـ هل فهمتم يا رجال ؟.. دون إراقة قطرة واحدة من الدم .
ابتسم الرجال الأربعة ابتسامة وحشية ، وأخرج أحدهم من جيبه حبلًا غليظًا ، واتجه نحو (لويجى) ، الذى تراجع صارخًا :
ـ لا يا دونا .. ليس هذا من حقك .
تجاهلته (كارولينا) تمامًا ، وهى تشير إلى (مارشيللو) و (مورتى) ، قائلة :
ـ هل تنتظران دوريكما ، أم تفضلان اصطحاب ضيفتى إلى سيارتى الخاصة .
انهار (مارشيللو) ، قائلًا :

- الرحمة يا دونا .

أما (مورتى) ، فهتف مرتجفًا :

- سأصحبها إلى السيارة يا دونا .

سارت دونا (كارولينا) إلى جوار (منى) ، حتى استقلت معها سيارتها الخاصة الفارهة ، وصوت (لويجى) يجلجل خلفهما :

- لا يا دونا .. لا .. إننى أعتذر .. لست أدرى لماذا قلت هذا .. الرحمة يا دونا .. الرحمة .

ثم تحشرج صوته ، واختنق ، وامتلأ بذعر وألم هائلين ، وهو يصرخ :

- الرحمة يا دونا .

ولكن (كارولينا) ظلت محتفظة بابتسامتها ، وهى تشير إلى سائقها ، قائلة :

- إلى المطار .

سألتها (منى) فى توتر :

- أكان هذا ضروريًا ؟

هزّت (كارولينا) كتفيها ، وقالت :

- إنه خائن ، يعمل لحساب منظمة أخرى ، ثم إنه يشكك فى صلاحيتى للزعامة .. ماذا تتوقعين إذن ؟

ثم أخرجت من حقيبتها تذكرة طائرة ، مستطردة :

- لا تقلقى نفسك بهذا الأمر .. إنها شئون داخلية ، تتم تسويتها باستمرار .. المهم .. هذه تذكرة سفر إلى (نيويورك) .. ستقلع الطائرة بعد ثلاث ساعات ، وسينتظرك (أدهم) هناك ، أو يلحق بك ، بعد أن يتم مهمته فى (لندن) .

ألقت (منى) نظرة على ساعة يدها ، وقالت :

- ثلاث ساعات .. هذا يعنى أنه مازال أمامنا وقت كاف .

سألتها (كارولينا) :

- لماذا ؟

أشارت (منى) إلى نفسها ، قائلة :

- أتصوّرت أننى سألتقى بـ (أدهم) ، على هذه الصورة البشعة .. إننى أفضل الموت حرقًا ، على أن يرانى وذلك الزيت اللزج يغمر شعرى ، ووجهى يحمل آثار الضربات واللكمات .

أطلقت (كارولينا) ضحكة ناعمة ، وهى تقول :

- ربّاه !.. كيف نسيت هذا ؟.. حتى من يعملن فى المخابرات نساء مثلنا .

ثم ربّتت على كتف (منى) ، مستطردة :

- اطمئنى يا عزيزتى .. ستجدين عند (كارولينا) الماء الساخن ، والحمام المعطّر ، وأدوات الزينة المطلوبة ، ولكن ..

وغمزت بعينها ، قبل أن تضيف فى مرح :

هل يحتاج هذا أيضًا إلى موافقة الرؤساء ؟

ولأوّل مرة منذ فترة طويلة ، أطلقت (منى) ضحكة .. ضحكة من أعماق قلبها ..

★ ★ ★

كان الغاز السام ينتشر فى سرعة ، ولكن (أدهم) تحرّك أسرع منه ، وهو ينقضّ على (لانسلوت) ، قائلًا :

- محاولة سينمائية سخيفة يا رجل .

استلّ (لانسلوت) مسدسه فى سرعة ، وهو يقول :

- ولكنها ناجحة .

وثب (أدهم) يركل المسدس فى مهارة ، قائلًا :

- هـراء .

لم يكد يفعل هذا ، حتى تعلّق به (مور) من الخلف ، صارخًا :

- هل تجرؤ على مقاتلة سيّدى ؟

دفع (أدهم) مرفقه إلى الخلف ، ليغوص فى معدة (مور) ، ثم أدار يده خلف ظهره ، وأمسك به ، ودار حول

نفسه فى خفة ، فوجد (مور) نفسه يطير فى الهواء ، ثم يرتطم بالجدار فى عنف ، ويحطم درع عائلة (لانسلوت) ، ثم يسقط مع السيفين المحيطين به أرضًا ..

وتراجع (لانسلوت) فى رشاقة ، وهتف وهو يلتقط أحد السيفين :

- أحسنت يا (مور) .

ولوّح بالسيف فى وجه (أدهم) ، مستطردًا :

- لقد منحتنى سلاحًا رائعًا .

تراجع (أدهم) برأسه فى سرعة ، متفاديًا نصل السيف ، و(لانسلوت) ينقضّ عليه ، مستطردًا :

- سأعلم هذا المصرى درسًا قاسيًا ، وأعرّفه كيف كان أجدادى فى الماضى .

وثب (أدهم) فوق أحد المقاعد ، قائلًا :

- أعلم أن أجدادك كانوا من الفرسان يا (لانسلوت) .

هوى (لانسلوت) بسيفه ، ولكن (أدهم) تفادى الضربة بقفزة أخرى ، ثم دار حول نفسه دورة رأسية مبهرة ، وهبط إلى جوار السيف الآخر ، مستطردًا :

- ولكنهم يخسرون تمامًا ، لو وضعتهم فى مجال المقارنة مع أجدادى .

هبّ (مور) واقفًا ، وانقض على (أدهم) ، ولكن هذا الأخير ركله فى معدته بقدمه اليمنى ، ثم قفز يحطم أنفه بركلة ثانية من قدمه اليسرى ، فى نفس اللحظة التى صرخ فيها (لانسلوت) ، وهو يقفز ليطعنه بسيفه :

ـ ومن يكون أجدادك ؟

انحنى (أدهم) متفاديًا نصل السيف ، والتقط السيف الآخر ، ونهض قائلًا فى حزم :

ـ كانوا أعظم الفرسان أيها البريطانى .

وفى هذه المرة ، ارتفع صليل السيوف ..

كانت مبارزة مدهشة ، بين رجلين من خبراء عالم المخابرات ، فى نهايات القرن العشرين ، اختارا سلاحًا قديمًا لقتال غير تقليدى ..

ومع اللحظات الأولى ، أدرك (لانسلوت) أن (أدهم) على حق ..

كانت ضرباته قوية ، عنيفة ، ماهرة ، تكاد تنتزع سيف (لانسلوت) من قبضته ، على الرغم من قوة أصابعه ..

ولكن (لانسلوت) تشبث بأمل أخير ..

بالغاز السام ..

أما (أدهم) ، فقد كتم أنفاسه ، بكل ما يملك من قوة وإرادة ، وراح يتقاتل فى مهارة ، حتى لاحت له نقطة ضعف ، انقضّ عليها ، صائحًا :

ـ بدأ العد التنازلى يا رجل .

وأطاح بسيف (لانسلوت) بضربة واحدة ماهرة ، ثم انقضّ على هذا الأخير ، وكال له لكمة كالقنبلة فى أنفه ، مستطردًا :

ـ وانتهى .

سقط (لانسلوت) فاقد الوعى ، إلى جوار خادمه ، فى حين ألقى (أدهم) سيفه ، واندفع نحو المكتب ، وضغط الزر الوحيد فوقه ، مغمغمًا :

ـ أتعشم أن يكون هذا هو الزر المنشود ، فلن أحتمل كتمان أنفاسى أطول من هذا .

ولكن الحظ كان إلى جانبه ..

لقد توقّف ضخ الغاز السام ، فور الضغط على الزر ، وبدأت شفاطات قوية فى العمل ، لسحب الغاز السام من المكان ، فى حين ارتفعت الحواجز عن النوافذ ، واندفع (أدهم) نحوها ، يلتقط نفسًا عميقًا من الهواء النقى ، هاتفًا :

ـ حمدًا لله .

لم يكد ينتهى من كلمته ، حتى اقتحم (أكسيل) المكان ، مع عدد من رجاله ، وهو يهتف :

ـ نجحت يا رجل .. لقد سجلنا كل حرف دار بينكما .

انتزع (أدهم) جهاز التصنت الصغير من سترته ، وهو يقول :

ـ عظيم .. هذا يعنى أن مهمتى هنا قد انتهت .

تطلّع إليه (أكسيل) فى دهشة ، وقال :

ـ ألا تنتظر قليلًا ؟.. لإنهاء الأوراق الرسمية على الأقل .

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس أمامى ما يكفى من وقت يا رجل .. لقد سلمتكم الخائن ، مع أدلة إدانته ، ولا بد لى الآن من إكمال مهمتى .

قال(أكسيل) :

ـ ولكننا نحتاج إلى مزيد من المعلومات ، حول منظمة (سناك) هذه .

أشار (أدهم) إلى (لانسلوت) ، وقال :

ـ احصل عليها منه ، أما أنا ، فمن الضرورى أن أطمئن على زميلتى أوّلًا ، ثم أنطلق على متن أوّل طائرة إلى (نيويورك) .. ما زال لدى الكثير من العمل هناك يا رجل .

تنهّد (أكسيل) ، وقال :

ـ لا يمكننى اعتراضك .. لقد أعطيتنا بالفعل أفضل مما كنا لتمنى .. هيّا .. اذهب يا رجل .. ستقلع طائرة (نيويورك) بعد ساعة واحدة .

انطلق (أدهم) للحاق بالطائرة ، فى نفس الوقت الذى استعدت فيه (منى) للسفر ، واستقل فيه (قدرى) طائرته من القاهرة ، وتنطلق فيه طائرة (موشى دزرائيلى) بالفعل إلى الهدف نفسه ..

إلى (نيويورك) ..

كان الجميع ينطلقون إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، استعدادًا لجولة جديدة ..

جولة يبدو من الواضح أنها ستصبح أعنف وأخطر جولات المباراة كلها ..

الجولة الحاسمة ..

والأخيرة .

* * *

٦ ـ باب الجحيم ..

« إنه يستعيد وعيه .. » .

تسللت العبارة إلى رأس (حسام) ، وهو يفتح عينيه في بطء ، ويتطلَّع إلى الطبيب الأمريكى ، الذى ابتسم مغمغمًا :

ـ كيف حالك الآن ؟

وقبل أن يجيب (حسام) ، ظهر وجه غليظ صارم ، من خلف الطبيب ، يقول فى خشونة وغلظة :

ـ هل يمكن استجوابه الآن ؟

بدا الضيق على وجه الطبيب ، وهو يقول :

ـ إننى حتى لم أفحصه ، لمعرفة ما أصابه .

قال صاحب الصوت فى غلظة شديدة :

ـ لا وقت لهذا .

ثم أبرز بطاقته في وجه (حسام) ، مستطردًا :

ـ اسمع يا هذا .. أنا المفتش (فيليب) ، من قسم جرائم القتل والاعتداء ، في شرطة (نيويورك) ، ولدينا حديث طويل معًا .. قل لى أوَّلًا : من أنت ؟

هتف الطبيب فى حدة :

ـ ليس من حقك استجوابه دون موافقتى ، ولن أسمح بهذا .. قبل أن يستعيد صحته كاملة .

قال المفتش فى حنق :

ـ إنه يبدو سليمًا معافى .

أجابه الطبيب :

ـ ظاهريًا فحسب ، ولكن من أدراك بما يحدث داخله ؟!.. أليس من المحتمل أنه مصاب بنزيف داخلى ، أو تهتك فى خلايا المخ ، أو حتى فقدان ذاكرة ، من جراء الصدمة .

صاح به المفتش :

ـ فليكن .. أنا سأحمل المسئولية كلها ، وسأستجوبه الآن ، حتى ولو كان مصابًا بمرض (الأيدز)(★) .

ثم أدار عينيه الصارمتين إلى (حسام) ، وكرَّر فى حدة :

ـ ما اسمك يا رجل ؟

كان (حسام) قد استعاد وعيه بالفعل ، إلا أن ذهنه لم يكن قد استرجع كامل صفائه بعد ، مما يُخشى معه أن يتورَّط فى خطأ ما ، لو أنه حاول أن يناور أو يحاور ؛ لذا فقد التقط طرف الخيط من لسان الطبيب ، وتطلَّع إلى المفتش متظاهرًا بالحيرة ، وهو يقول :

(★) الأيدز : اختصار لعبارة (أعراض أمراض فقدان المناعة المكتسب) ، وهو مرض جديد ، ظهر لأوَّل مرة عام ١٩٨٥م ، وينتشر عن طريق العلاقات الجنسية ونقل الدم ، ولا يوجد علاج معروف له ، حتى لحظة كتابة هذه السطور .

ـ اسمى ؟!.. لست أدرى .. لست أذكر اسمى ، ولا ماذا أفعل هنا .

عقد الطبيب ساعديه أمام صدره ، وقال فى غضب :

ـ أرأيت !

صاح المفتش فى غضب :

ـ هل فقدت قدرتك على التمييز يا رجل ؟.. من الواضح أنه يخدعنا . لقد سمعك تتحدَّث عن فقدان الذاكرة ، فتظاهر بالإصابة به .

هتف الطبيب :

ـ ليست لديك صلاحية الزعم بهذا .

ثم التقط سمَّاعة الهاتف المجاور لفراش (حسام) ، مستطردًا فى صرامة :

ـ وسأتصل بالعمدة ، ومجلس الشيوخ ، وحتى بالبيت الأبيض نفسه(★) ، لأبلغهم بتجاوزاتك هذه ، و ...

أمسك المفتش يده فى حدة ، قائلًا :

ـ لا داعى لهذا .. سأنصرف .

(★) البيت الأبيض : المقر الرئيسى لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو بناء عظيم ، فى العاصمة (واشنطن) ، يقع أمام ساحة (لافاييت) ، فى شارع (بنسلفانيا) ، ومدخله الرئيسى فى واجهته الشمالية ، وقد أقيم البناء فى موقع اختاره الرئيس (جورج واشنطن) ، وأرسيت أسسه عام ١٧٩٢م .

والتفت إلى (حسام) ، مستطردًا :

ـ ولكننى سأعود .. ولن تفلت منى أبدًا فى المرة القادمة .. هل تفهم ؟

قالها وغادر الحجرة مع الطبيب ، وسمعه (حسام) يقول لطاقم الحراسة فى صرامة ، قبل أن يغلق الباب ، وكأنه يتعمَّد أن يسمعه (حسام) :

ـ ألقوا كل آراء الأطباء خلف ظهوركم ، وأطلقوا النار عليه مباشرة ، لو شككتم ، مجرَّد شك ، فى محاولته الفرار ، وأريد أربعة رجال بمدافع آلية عند النافذة .. لا زيارات ، ولا مقابلات .. وانزعوا أسلاك الهاتف .. مفهوم ؟

قالها ، وصفق الباب خلفه فى عنف ، فعقد (حسام) حاجبيه ، وتمتم :

ـ من الواضح أن موقفك حرج للغاية يا (حسام) ، ولكن لا يمكنك البقاء هنا بكل تأكيد .

وفى حماس ، راح عقله يبحث عن خطة للفرار ، على الرغم من كل ما يحيط به ، فقد كان واثقًا من أنهم سيمزقونه إربًا ، لو اقتضى الأمر ، للحصول على ما لديه ، بعد ما فعله برجالهم فى إدارة الشرطة ..

لابد إذن من الخروج من هذا المأزق ..

بأقصى سرعة ..
وبأى ثمن ..
أى ثمن ..

★ ★ ★

بدا القلق والتوتر، على وجوه أعضاء مجلس إدارة (شركة الإلكترونيات الحديثة) فى (نيويورك)، وهم يجلسون حول مائدة الاجتماعات، فى انتظار وصول (تونى بورسالينو)، ليرأس ذلك الاجتماع الطارئ، الذى دعاهم لحضوره بغتة، وأفصح أحدهم عن قلقه، وهو يميل على أذن جاره، هامسًا :

ـ أتظنه تغييرًا جديدًا، فى مجلس الإدارة ؟

ازدرد زميله لعابه، وتمتم :

ـ لماذا ؟.. إننا نوافق على كل مطالبه، ولا يوجد مبرِّر ..

قبل أن يتم عبارته، ظهر (تونى) على باب حجرته، المتصل بحجرة الاجتماعات، فنهض الجميع لاستقباله، وخيم عليهم صمت تام، فى حين أدار هو عينيه فى وجوههم بصرامة، كما علَّمته (سونيا)، ثم اتجه إلى مقعده على رأس المائدة، وجلس فوقه، مشيرًا بذراعيه إليهم، قائلًا :

ـ اجلسوا .

جلس الجميع فى آن واحد، وتعلقت عيونهم بوجهه، فلاذ هو بالصمت بضع لحظات، قبل أن يقول :

ـ من المؤكد أنكم تتساءلون، عن سبب هذا الاجتماع .

سرت بينهم همهمة غير مفهومة، فتابع دون انتظار :

ـ لقد استقال الدكتور (أحمد صبرى) .

هتف أحدهم :

ـ استقال ؟!.. متى وكيف ؟.. لقد وافقنا على الاعتمادات التى طلبها، منذ أيام قلائل .

شبك (تونى) أصابعه أمام وجهه، وهو يجيب :

ـ الواقع أنه لم يتقدم باستقالة رسمية، ولكنه رحل فجأة، ولم نعثر له على أثر .

قال آخر فى حماس :

ـ لابد من مراجعة الحسابات .. ربما اختلس شيئًا .

قال (تونى) فى حزم :

ـ لقد أغلقنا ملف الدكتور (أحمد صبرى)، ولن نفتحه مرة أخرى .

أخرست عبارته كل الأصوات، وتبادل البعض نظرات صامتة خاضعة، قبل أن يستطرد هو :

ـ ولكن هذا ليس الموضوع الرئيسى فى اجتماعنا .

عادت نظرة التساؤل والقلق تطل من عيونهم، وهو يضيف :

ـ لقد طرحنا بعض أسهم الشركة للبيع .

اتسعت العيون فى دهشة بالغة، واندفع بعضهم يتحدث فى آن واحد، فأشار إليهم (تونى) بالصمت، وقال :

ـ كان هذا أمرًا حتميًا، بسبب مشروع جديد، يحتاج إلى تمويل ضخم، لن تكفى السيولة الموجودة للقيام به، ولن ..

قبل أن يتم عبارته، اقتحم أحدهم المكان فى عنف، وخلفه السكرتيرة تهتف فى ارتياع :

ـ ليس هذا من حقك يا سيِّدى .. إنه اجتماع خاص .

وسرت موجة من التوتر فى أعضاء المجلس، فى حين هبَّ (تونى) من مقعده، قائلًا فى غضب :

ـ من أنت ؟.. ومن سمح لك بـ ... ؟

قاطعه القادم فى برود، وهو يزيح السكرتيرة جانبًا فى خشونة :

ـ أأنت (تونى بورسالينو) ؟

شعر (تونى) بشىء من القلق والرهبة، وهو يقول :

ـ نعم .. هو أنا .. ماذا تريد منى ؟

فوجئ الجميع بالرجل ينتزع من جيبه مسدسًا فجأة، ويطلق رصاصة فى سقف القاعة، قائلًا فى صرامة :

ـ انتهى الاجتماع أيها السادة .. أريد رئيسكم وحده .

هبَّ الجميع من مقاعدهم، وانطلقوا يعدون فى فزع، مغادرين القاعة، فى حين شحب وجه (تونى) بشدة، وهو يهتف :

ـ رجال الأمن .. أين رجال أمن الشركة ؟

صوَّب إليه الرجل مسدسه، وهو يقول فى برود أشبه بالثلج :

ـ من العسير عليهم أن يلبوا نداءك، فقد أرسلت المسئولين عن حراسة هذا الطابق إلى الجحيم .

اتسعت عينا (تونى) فى هلع، وأسرعت يده تحاول التقاط المسدس المختفى فى جيب سترته، ولكن الرجل قال فى صرامة :

ـ اسحب مسدسك يا رجل .. هيَّا .. امنحنى المبرِّر الكافى لنسف رأسك، دون الشعور بذرة واحدة من الندم .

ارتجفت أصابع (تونى)، وهو يهتف :

ـ كنت سألقيه أرضًا .. أقسم لك .

وأخرج مسدسه فى بطء، وألقاه عند قدمى الرجل، الذى قال فى برود :

ـ هذا أفضل .

ثم اتجه إلى (تونى)، الذى سقط على مقعده، وانكمش فيه فى فزع، وهو يقول مرتجفًا :



ثم اتجه إلى (تونى) ، الذى سقط على مقعده ، وانكمش فيه فى فزع ..

ـ من أنت ؟.. وماذا تريد منى ؟

ألصق الرجل فوهة مسدسه بصدغ (تونى) ، وهو يجيب :

ـ اسمى (موشى) .. (موشى دزرانيلى) .. زعيمتك تعرفنى جيدًا .

ردَّد (تونى) فى هلع :

ـ زعيمتى .

أجابه (موشى) ، وهو يجذب إبرة مسدسه :

ـ نعم .. زعيمتك الفاتنة ، التى تحمل حتمًا اسمًا جديدًا .. أراهن أنها ما زالت ساحرة وقاتلة كعادتها .

قال (تونى) فى توتر :

ـ لست أدرى عمن تتحدَّث ، ومن تقصد بالـ...

أخرسه (موشى) بضربة كالقنبلة بماسورة المسدس ، قطعت جانب شفتيه ، وتفجَّرت الدماء من الجرح ، فصرخ (تونى) :

ـ ماذا فعلت ؟

أجابه (موشى) :

ـ أنعش ذاكرتك يا رجل .. إنها وسيلة مضمونة .. ألا توافقنى على هذا ؟

صاح (تونى) فى ألم :

ـ ولكننى لست أعرف من تقصدها بهذا الـ...

هوى (موشى) على أنفه بضربة أشد عنفًا ، تفجَّرت معها الدماء فى غزارة ، من الأنف المكسور ، وأغرقت وجه (تونى) ، فصرخ :

ـ لا .. لا تفعل هذا .

هزَّ (موشى) كتفيه فى برود ، وقال :

ـ أخبرنى ما لديك إذن ، وحذار أن تلجأ إلى المراوغة مرة أخرى ، ففى المرة القادمة ، ستخترق رصاصتى عظامك .. صدقنى .. هذا مؤلم للغاية ، وبالذات عندما ...

بتر هو عبارته هذه المرة ، عندما لاحظ تلك النظرة العصبية ، التى يرمق بها (تونى) شيئًا ما خلفه ، فاستدار بسرعة لمواجهة هذا الشىء ، ولكن استدارته لم تكتمل ، فقد هوت على مؤخرة عنقه ضربة عنيفة ، جعلته يترنَّح فى شدة ، ويتطلَّع مبهورًا إلى صاحب الضربة ، ويغمغم :

ـ أنت يا (سونيا) ؟!

رفعت (سونيا) هراوتها الصغيرة ، وهى تقول :

ـ نعم .. أنا يا (موشى) .

وهوت على رأسه بضربة ثانية ، أسقطته فاقد الوعى ، فهتف (تونى) فى حنق :

ـ أحسنت يا سيِّدتى ... سأقتله شر قتلة .

كان يندفع نحو مسدس (موشى) ، ولكن (سونيا) التقطت المسدس بسرعة ، وصوَّبته إليه ، قائلة :

ـ مهلًا يا (تونى) .

تطلَّع فى دهشة إلى مسدسها ، المصوَّب إلى صدره ، وقال :

ـ ما هذا يا سيِّدتى ؟

هزَّت كتفيها ، وهى تقول فى هدوء :

ـ من الواضح أنك تفتقر إلى الحذر يا عزيزى (تونى) .. لقد تركت اسمك فى كل مكان ذهبت إليه ، حتى بات من السهل تعقُّبك .

قال (تونى) فى عصبية :

ـ إنها مصادفة يا سيِّدتى .. ومن حسن الحظ أنك تجلسين فى أثناء الاجتماعات ، فى الحجرة المجاورة ، وإلا ..

قاطعته فى هدوء :

ـ وإلا حصل منك (موشى) على كل المعلومات ، التى تعرفها عنى .

هتف (تونى) :

ـ مستحيل يا سيِّدتى .. أقسم إننى لا أبوح بأسرارك قطّ .

مطَّت شفتيها الجميلتين ، وأمالت رأسها فى دلال ، قائلة :

- ومن يضمن هذا ؟

ازدرد لعابه فى توتر بالغ ، وهو يقول :

- سيِّدتى .. أنا مساعدك الأمين .

هزت رأسها فى أسف ، وقالت :

- كنت كذلك يا (تونى) ، أما الآن ، فأنت نقطة ضعفى .. وأنا أكره نقاط الضعف يا (تونى) .

تراجع فى ارتياع ، هاتفًا :

- سيِّدتى .. ماذا تقصدين ؟

تنهدت قائلة :

- معذرة ياعزيزى (تونى) .. أنا مضطرة لهذا .

صرخ فى ذعر ، وقد أدرك ما تقصده :

- لا يا سيِّدتى .. لا .

ولكن (سونيا) قالت فى هدوء مخيف :

- الوداع يا (تونى) .. سأذكرك دائمًا .

وضغطت زناد مسدسها ..

وأزاحت نقطة ضعفها من الوجود .

★ ★ ★

٧ - أرض المعـركة ..

تهللت أسارير (منى توفيق) ، وأطلت من ملامحها سعادة غامرة ، وهى تندفع نحو (أدهم) ، فى مطار (نيويورك) ، هاتفة :

- (أدهم) .. لن يمكنك أن تتخيل مدى سعادتى برؤيتك .

كانت تتمنى لو ألقت نفسها بين ذراعيه ، ودفنت وجهها فى صدره القوى ، ولكنه اكتفى بمصافحتها فى حرارة واضحة ، وهو يقول :

- بل يمكننى يا عزيزتى ، فهى لن تساوى ذرة من شوقى لرؤية وجهك الجميل .

أطلت من عينيها نظرة حب كبيرة ، وهمت بقول شىء ، لولا أن تنحنح (قدرى) من خلفها ، وهو يقول فى مرح :

- احم .. هل حجبنى جسد (منى) الضئيل عنك يا صديقى .

التفت إليه (أدهم) ، وقال فى سعادة :

- (قدرى) .. كم تسعدنى رؤيتك يا صديقى .. كيف التقيتما ؟

أجابته (منى) بسرعة :

- لقد استقل هو الطائرة من (مصر) ، وفوجئ بى أنضمّ إليه فى (روما) .

ابتسم (قدرى) ، وهو يقول :

- ولقد أسعدتنى رؤيتها أيضًا .

ثم غمز بعينيه ، مستطردًا :

- ولاداعى للغيرة .

ضحك (أدهم) فى مرح ، فى حين تخضّب وجه (منى) بحمرة الخجل ، وقالت محاولة تغيير دفة الحديث :

- متى وصلت يا (أدهم) ؟

أجاب فى هدوء :

- منذ ساعة واحدة تقريبًا .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وهو يقول :

- وماذا فعلت خلال هذه الساعة ؟ هل رفعت العلم المصرى على مكتب عمدة (نيويورك) ؟

أجابه (أدهم) فى جدية تامة :

- بل أجريت بعض التحريات ، عن طريق مكتبنا هنا .

سألته (منى) فى شغف :

- وما نتيجة هذه التحريات ؟

مطّ (أدهم) شفتيه ، وهو يجيب :

- لم تصل النتائج بعد .. المفروض أن يتمّ إرسالها عن طريق (الفاكس) ، إلى المنزل الآمن(★) الذى سنقيم فيه ، حتّى نهاية العملية بإذن الله .

ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يسأل (منى) :

- هل أحسنت دونا (كارولينا) معاملتك ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

- نعم ، ولكنها إمرأة شرسة للغاية ، ولم ترق لى أبدًا .

قال (أدهم) :

- هذا أمر طبيعى ، فكل منكما تختلف تمام الاختلاف عن الأخرى ، وطرازك لن يتوافق أبدًا مع طرازها .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وهو يقول :

- ولكننى أعرف الطراز الذى تفضّله أنت .

تخضّب وجه (منى) بالاحمرار مرة أخرى ، فى حين أشار (أدهم) إلى سيارة رياضية حمراء تنتظر أمام المطار ، وقال :

- فلنؤجل هذا الحديث لما بعد ، ولننطلق أوّلًا إلى المنزل الآمن .

هتفت (منى) ، وهى تنظر إلى السيارة :

(★) المنزل الآمن: مصطلح يُستخدم فى عالم المخابرات، للدلالة على مكان غير معروف للخصم، وغير خاضع لأجهزة المراقبة أو التنصت .

- ربّاه !.. (بورش) حمراء .. هذا يذكرنى بمغامرتنا السابقة(*) .

ناولها (أدهم) مفاتيح السيارة ، قائلًا :

- إنها لك يا عزيزتى .

هتفت مبهورة :

- لى أنا ؟!.. (أدهم) .. هل تعنى أن ..

قاطعها مبتسمًا فى حنان :

- نعم يا عزيزتى .. لقد ابتعت هذه السيارة خصيصًا ، لأهديها لك .

ارتفع حاجبا (قدرى) ، وهو يقول فى دهشة :

- ومتى فعلت هذا ؟.. ألم تقل إنك سبقتنا بساعة واحدة ؟!

أما (منى) ، فقالت مرتبكة :

- آه .. أشكرك كثيرًا يا (أدهم) .. أنت تعلم أننى أعشق هذا الطراز بالفعل ، ولكن لابد أنها قد كلفتك ثروة طائلة .

هزّ كتفيه ، قائلًا :

(*) راجع قصة (المعركة الفاصلة) .. المغامرة رقم (٩٦) .

- وماذا فى هذا ؟.. أنسيت أننى مليونير يا عزيزتى ؟(*) .

استقلوا السيارة ، وانطلقت بها (منى) وسط شوارع (نيويورك) ، وهى تقول فى سعادة :

- إنها رائعة بحق يا (أدهم) .. سأظل أشكرك على هديتك هذه ، حتى آخر العمر .

ولكن (أدهم) ابتسم فى شرود ، جعل (قدرى) يميل نحوه ، ويسأله فى قلق :

- ماذا بك يا صديقى ؟.. إنك لا تبدو كعهدى بك .

تنهّد (أدهم) ، وقال :

- لا يمكننى السيطرة على انفعالاتى هذه المرة يا (قدرى) ، وأنا أشعر أننى أقرب ما أكون إلى ابنى ، الذى اختطفته (سونيا) منذ زمن(**) .

وعندما أطلق زفرته التالية ، التهب بها الثلاثة من أعمق أعماقهم ..

نعم ..

لقد صاروا أقرب ما يكونون إلى الهدف ..

الهدف القاتل ..

* * *

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١) .

(**) راجع قصة (خط المواجهة) .. المغامرة رقم (٨٧) .

رفع رئيس مكتب المخابرات الإسرائيلى فى (نيويورك) حاجبيه فى دهشة ، وهو يستقبل (موشى دزرائيلى) ، وهتف فى لهجة تجمع ما بين المفاجأة والاستنكار :

- (موشى) .. ماذا أصابك يا رجل ؟.. إنك تبدو فى حالته مزرية للغاية ؟.. من فعل بك هذا ؟

أجابه (موشى) فى حدة :

- دعك من هذه الاستجوابات السخيفة ، وأخبرنى .. أما زلتم تملكون هنا جهاز التتبع ؟

قال رئيس المكتب :

- بالطبع ، ولكنه تطوّر كثيرًا عن ذى قبل .. لقد أصبح برنامجًا من برامج الكمبيوتر .

سأله (موشى) :

- وأين هو ؟

أشار الرجل إلى حجرة ملحقة بمكتبه ، وهو يجيب :

- فى هذه الحجرة .. سأستدعى (بنيامين) لتشغيله ، و ...

قاطعه (موشى) فى توتر ، وهو يدلف إلى الحجرة الجانبية :

- لا داعى .. أنا أجيد هذا .

لحق به الرجل فى الحجرة ، ورآه يبدأ فى تشغيل برنامج التتبع ، ويضع على الشاشة وجهًا بلا ملامح ، فسأله :

- أهى امرأة ؟

أجابه (موشى) :

- نعم .. زميلتنا السابقة (سونيا جراهام) .

رفع الرجل حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة :

- (سونيا) ؟!.. ولماذا تبحث عن (سونيا) فى (نيويورك) ؟

لم يجب (موشى) ، وهو يملأ الوجه على الشاشة بملامح (سونيا) ، مع تغيير لون العينين ، ونوع الشعر وطريقة تصفيفه ، ثم ضغط زرّ الطابعة ، وهو يقول :

- أرسل هذه الصورة على الفور ، إلى كل رجل يعمل لحسابنا ، فى (نيويورك) كلها ، واطلب منهم معرفة صاحبتها بأقصى سرعة .

سأله الرجل ، وهو يلتقط الصورة :

- أهى التى فعلت بك هذا ؟

أومأ (موشى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. لقد أفقدتنى الوعى ، وقتلت الرجل الذى كنت أتوقّع أن يقودنى إليها ، وكاد رجال الأمن يلقون القبض علىّ ، لولا أن استعدت وعيى بسرعة ، ونجحت فى الفرار من سلم خلفى .

ثم تخلى بغتة عن أعصابه الأسطورية ، وهو يضيف فى غضب :

ـ وستدفع ثمن هذا .

وضع رئيس المكتب صورة (سونيا) بهيئتها الجديدة فى جهاز (الفاكس) ، وهو يقول :

ـ ولكن لماذا فعلت هذا ؟

قالها وهو يضغط زر إرسال الصورة ، فلوّح (موشى) بكفه ، وقال :

ـ ليس هذا من شأنك .

فتح الرجل فمه ليقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن لاذ بالصمت ، وزفر فى توتر ، ثم عاد يقول :

ـ يمكنك أن تستريح قليلًا ، فسيستغرق الأمر بعض الوقت .

قال (موشى) فى حدة :

ـ المهم ألا يستغرق وقتًا أطول مما ينبغى .

ووقف أمام المرآة ، يعدّل من هندامه ، وهو يبدّل قدميه فى عصبية ، ثم لم يلبث جهاز (الفاكس) أن أطلق أزيزه المعتاد ، وراحت ورقة طويلة تبرز منه ، فاختطفها رئيس المكتب ، وقرأها بسرعة ، قبل أن يهتف :

ـ يبدو أن مهمتك لن تكون عسيرة يا (موشى) .. إنها سيّدة أعمال ثرية ومعروفة ، تقيم فى قصر فى إحدى ضواحى (نيويورك) ، وتحمل اسم (جوان آرثر) .

التقط (موشى) الورقة ، وطالعها بسرعة ، ثم دسّها فى جيبه ، وقال فى برود :

ـ هذا جيد .

وأخرج مسدسه ، ليجذب مشطه فى حزم ، وهو يتجه إلى الباب ، فسأله رئيس المكتب :

ـ إلى أين بهذه السرعة ؟

ألقى عليه (موشى) نظرة باردة صارمة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وأغلق الباب خلفه فى قوة ، وهو ينطلق نحو الهدف الحقيقى ..

نحو (سونيا جراهام) ..

★ ★ ★

« (موشى) هاجم الشركة .. » .

نطق (أدهم) هذه العبارة فى حزم ، وهو يطالع التقرير ، الذى وصل إلى المنزل الآمن ، بوساطة آلة (الفاكس) ، واستطرد فى اهتمام واضح :

ـ وقتل (تونى بورسالينو) ، واجهة (سونيا) المعلنة ، ثم نجح فى الفرار ، قبل أن يقع فى قبضة رجال الأمن ، ولكن أعضاء مجلس الإدارة أدلوا بأوصافه بمنتهى الدقة .

سألته (منى) فى قلق :

ـ أيعلمون أين ذهب بعد هذا ؟

أجابها (أدهم) :

ـ هذا لا يحتاج إلى تساؤل .. لقد انطلق حتمًا إلى حيث (سونيا) .

عقد (قدرى) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ لقد دخل الإسرائيليون اللعبة ، وهذا يضاعف من خطورة الموقف .

قال (أدهم) فى حزم ، وهو يضع مسدسه فى جيبه :

ـ ويضاعف من جهدك أيضًا يا صديقى، لإعداد الأوراق التى طلبتها منك ، أما أنا و (منى)، فسننطلق على الفور إلى حيث تقيم (سونيا) .

سألته (منى) فى لهفة :

ـ هل حصلت على عنوانها ؟

أشار إلى تقرير (الفاكس) ، قائلًا :

ـ هاهو ذا .. إنها شخصية اجتماعية شهيرة هنا .

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

ـ وهذا أكبر خطأ ارتكبته .

جرت (منى) إلى جواره ، ووثبت إلى السيارة ، وهى تقول :



قال (أدهم) فى حزم ، وهو يضع مسدسه فى جيبه :
ـ ويضاعف من جهدك أيضًا يا صديقى ..

- لا يمكنها مقاومة هذا ، فشخصيتها الهستيرية محبة للظهور بطبعها .

تمتم وهى تنطلق بالسيارة :

- وهذا ما يخيفنى .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، قائلة :

- يخيفك ؟!.. ولمَ يخيفك ؟

صمت لحظة ، قبل أن يجيب :

- لأنها تربى ابنى على عقيدتها .

سرت فى جسدها قشعريرة ، عندما أتى على ذكر ابنه ..

لماذا تنسى هذا الأمر دائمًا ؟..

أو لماذا تتناساه ؟..

أهو رد فعل غريزى من عقلها ، لرفض فكرة زواج (أدهم) من (أخرى) ، وانجابه طفلًا منها ؟!

صحيح أنها تعلم ظروف وملابسات هذا الزواج ، وكيف نجحت (سونيا) فى خداع (أدهم) ، مستغلة فقدانه لذاكرته ، لتقنعه بالزواج منها(*) ..

ولكن كيف تقاوم شعورها بالمرارة ؟..

كيف تهزم تلك الغيرة ، التى تكاد تلتهمها التهامًا ؟..

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) ... المغامرة رقم (٨٤) .

كل ما يمكنها فعله هو أن تشيح بوجهها عن هذا الأمر ..

وتتناساه ..

وكمحاولة للفرار من مناقشة هذا الموقف ، سألته :

- أتظننا نستطيع مباغتتها والظفر بها هذه المرة ؟

صمت لحظة أخرى ، ثم تمتم :

- أتعشم هذا .

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

هيًا يا عزيزتى .. زيدى من سرعتك .. نريد اللحاق بالأفعى ، قبل أن تفر إلى جحر آخر .

قالت فى توتر :

- أزيد السرعة ؟!.. هنا .. فى (نيويورك) .. لا ريب أنك تمزح ،.. لقد كنت أظن أن (القاهرة) هى أشد المدن ازدحامًا ، حتى رأيت (نيويورك) .

زفر فى قلق ، وقال :

- فى هذه الحالة ، ليس أمامنا سوى الدعاء لله أن تنتظر (سونيا) ، حتى نصل إليها ، وإلى ..

صمت لحظة ، قبل أن يضيف فى انفعال جارف :

- وإلى ابنى .

ومرة أخرى ، سرت فى جسد (منى) قشعريرة باردة .. باردة كالثلج ..

* * *

قبضت أصابع (سونيا) على سماعة الهاتف فى شدة ، وهى تهتف فى عصبية :

- نفذ ما آمرك به يا (كيفين) .. إنها أموالى ، ومن حقى أن أفعل بها ما أشاء ..

نعم .. أريد تحويل رصيدى كله إلى (لوس أنجلوس) ، باسم (سوزان سميث) ..

... لاشأن لك بمن هى (سوزان سميث) .. انقل الرصيد إليها فحسب .

ثم أطلقت زفرة عصبية ، وصرخت :

- افعل ما آمرك به إيها الوغد .. أعلم أنها عشرات الملايين ، ولكن الدستور هنا يكفل لى حق التنازل عن أموالى لمن أشاء ، ولست أريد نصائحك ..

واستمعت إليه لحظة أخرى ، قبل أن تضيف :

- لا يا (كيفين) .. لا تخش هذا .. أنا أفعل ما أفعل بكامل إرادتى .. ليس هناك ما يهددنى أو يخيفنى ، ولن أخبرك قط بالسبب ، الذى أفعل هذا من أجله .. الأوراق ؟!.. بالطبع يا (كيفين) .. سأرسل لك كل الأوراق المطلوبة ، ولكى تطمئن أكثر ، استمع إلى هذا الرقم الكودى .. إنه (٣٥٦٧١٢٣) .. أليس كذلك ؟.. لاحظ أننى لم أضف صفرًا إلى يمين الرقم ، وهذا يعنى أننى لست فى خطر ، أو تحت التهديد .. هيًا يا (كيفين) .. أنه هذا الأمر بسرعة ، فمازال أمامى الكثير لأفعله هنا .

أنهت المحادثة فى حدة ، وهى تقول :

- يا لهم من فضوليين أوغاد .

ثم استدارت إلى خزانتها ، وجذبت حقيبة متوسطة الحجم ، راحت تلقى داخلها كل ما تحويه الخزانة ، من رزم النقد والمجوهرات ، وعندما انتهت من كل هذا ، هتفت تنادى خادمتها ، وقالت لها فى صرامة :

- ضعى ملابس الصغير فى حقيبته ، واحمليه مع الحقيبة إلى الهليوكوبتر ، التى تقف على السطح .

سألتها الخادمة فى دهشة :

- ولكن طيًار الهليوكوبتر فى إجازة ، و...

صرخت (سونيا) فى وجهها :

- نفذى الأوامر .

أسرعت الخادمة لتنفيذ الأوامر ، وهى ترتجف ، فى حين أشعلت (سونيا) سيجارتها ، ونفثت دخانها فى عصبية ، قائلة :

- إنه سباق مع الزمن .. لابد أن تنتهى (جوان آرثر) تمامًا ، وتبدأ (سوزان سميث) حياتها الجديدة ، وإلا خسرنا كل شىء .

والتقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تضيف فى عصبية أكثر :

- كل شىء ..

* * *

لم تكد سيارة (منى) تخرج من قلب (نيويورك) إلى الضاحية ، التى تقيم فيها (سونيا) ، حتى تنفست الصعداء ، وهتفت :

- حمدًا لله .. وكأننا انتقلنا من عالم إلى عالم آخر تمامًا .. الطرق هنا واسعة ، وعدد السيارات فيها قليل ، وتبدو هادئة أنيقة .

أجابها (أدهم) :

- هذا لأننا الآن فى حى الأثرياء .. لا مصانع ، أو شركات ، ولا مبرّر للازدحام ، فكل ساكن هنا يحتلّ مساحة هائلة من الأرض ، مما يجعل عدد السكان قليلًا بالتبعية .

زادت من سرعة سيارتها ، وهى تضحك قائلة :

- عظيم .. هذا ما أفضله .. أليس كذلك ؟

لم يجب سؤالها هذه المرة ، فالتفتت إليه مكرّرة :

- أليس كذلك يا (أدهم) ؟

بدا وكأنه لا يسمعها ، وهو يتطلّع فى اهتمام بالغ إلى مرآة السيارة اليمنى ، المجاورة له ، فسألته فى قلق :

- ماذا هناك ؟

أشار إلى المرآة ، مجيبًا فى اقتضاب :

- سيارة (ألفاروميو) تطاردنا .

قالت فى دهشة :

- (ألفاروميو) ؟!.. لقد مررنا منذ لحظات بسيارة من هذا الطراز ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، دفعها (أدهم) جانبًا بغتة ، وهو يهتف :

- احترسى .

انحنت مع دفعته ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة ، اخترقت النافذة الخلفية للسيارة ، وعبرت فراغها الداخلى ، لتخترق الزجاج الأمامى ، فى نفس الموضع الذى كان يحتله رأس (منى) ، منذ لحظة واحدة ، فصاحت :

- إنهم يطلقون النار .

انتزع مسدسه ، وهو يجيب :

- كلّا .. إنهم لا يطلقون النار .. بل هو يطلق النار .. إن غريمنا شخص واحد يا عزيزتى .

ثم أطلق رصاصة مسدسه ، مستطردًا :

- شخص اسمه (موشى) ..(موشى دزرانيلى) .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وزادت من سرعة السيارة بحركة غريزية ، فانطلقت فى الشارع الواسع بسرعة كبيرة ، وخلفها سيارة (موشى) ، التى اخترقت رصاصة (أدهم) غطاءها الأمامى ، وقائدها يقول فى صرامة :

- يا لى من حسن الحظ !.. لقد عثرت عليـك أيضًا يا (أدهم) ، وسأجعلك تدفع ثمن ما فعلتـه بى فى (تل أبيب)(★) .

وأطلق رصاصة أخرى ، ولكن (منى) كانت تنطلق فى خط متعرّج ، يجعل إصابتها على نحو مباشر أمرًا مستحيلًا ، وهى تهتف :

- من أين أتى هذا الوغد ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

- من الواضح أنه يسعى لنفس الهدف ، الذى نسعى إليه .

صاحت :

- ولكنه يطلق النار علينا .

قال (أدهم) فى بساطة أدهشتها :

- يمكننا أن نحسم هذا الأمر .

وأمال رأسه خارج السيارة فجأة ، فصرخت :

- احترس يا (أدهم) .. (موشى) ليس ممن يخطئون التصويب .

ورآه (موشى) فى الوقت ذاته ، فصوّب إليه مسدسه ، صائحًا :

- آه .. ارتكبت أكبر خطأ فى حياتك يا (أدهم) .

(★) راجع قصة (أرض العدو) .. المغامرة رقم (٩٣) .

ولكن (أدهم) أبرز مسدسه فى سرعة خرافية ، وأطلق منه رصاصة ..

رصاصة واحدة ، اتجهت نحو هدفها ، كما لو كانت موجّهة ، وأصابت مسدس (موشى) ، وانتزعته من يده فى عنف ، لتلقى به فى وسط الطريق ..

فى ذهول ، هتف (موشى) :

- مستحيل !

ثم استدار ليلتقط سلاحًا آخر ، مستطردًا فى غضب :

- ولكننى لم أفقد أسلحتى كلها بعد .

وفى نفس اللحظة ، صاح (أدهم) فى (منى) :

- خففى السرعة .. أريد محاذاة سيارته .

ضغطت (منى) فرامل سيارتها على نحو غريزى ، وخفضت سرعتها بغتة ، فأصبحت تنطلق بمحاذاة سيارة (موشى) تقريبًا ، وهى تهتف :

- ماذا تنوى أن تفعل بالضبط ، هل ستـ..

بترت عبارتها لتطلق شهقة ذعر عنيفة ، عندما فوجئت بـ (أدهم) يقفز خارج السيارة ، ليسبح جسده فى الهواء لحظة واحدة ، ثم يعبر نافذة سيارة (موشى) ، ويرتطم بهذا الأخير ، قائلًا :

- هل فاجأتك يا رجل ؟

كانت مفاجأة حقيقية لـ (موشى) ، الذى فقد سيطرته على عجلة القيادة ، وشعر بجسد (أدهم) يكبل حركته ، فصاح :

- كيف ...

وقبل أن يتمّ عبارته ، كانت قبضة (أدهم) تهوى على فكه كالقنبلة ، والسيارة تنحرف إلى اليمين فى عنف مخيف ..

وفى الثانية التالية مباشرة ، تجاوزت السيارة حاجز الطريق ، وقفزت على نحو بالغ الخطورة ، ثم ارتطمت بجانب شجرة ضخمة ، واندفع جسد(أدهم) منها ، ليخترق زجاجها الأمامى ، ويسقط على مقدمتها ، فى حين منع حزام المقعد جسد (موشى) من الاندفاع بالكيفية نفسها ، فهتف وهو يلتقط مسدسًا ثانيًا :

- خسرت يا (أدهم) .

ولكن قدم (أدهم) اندفعت كالقنبلة ، محطمة جزءًا آخر من الزجاج ، ومرتطمة بفك (موشى) ، ثم اعتدل (أدهم) فى سرعة خرافية ، وهو يقول فى سخرية :

- أصبحت ثرثارًا ، فى الأونة الأخيرة يا (موشى) .

وهوت قبضته اليمنى على فك (موشى) ، ثم أعقبتها اليسرى ، قبل أن يتحرّك الإسرائيلى لاتخاذ موقف الدفاع ، فهوى فى مقعده فاقد الوعى ، فى نفس اللحظة التى توقّفت فيها سيارة (منى) إلى جوار (أدهم) ، وهى تهتف :

- يا إلهى !.. كدت توقف قلبى هذه المرة يا (أدهم) .

ابتسم قائلًا :

- اتركى قلبك ينبض فى موضعه يا عزيزتى ، فأنا أحتاج إليه .

ثم التقط مسدس (موشى) الثانى ، ودسّه فى جيبه ، مستطردًا :

- من الخطأ أن يلهو الصبية مثله بالأسلحة النارية .

وقفز داخل السيارة ، هاتفًا :

- هيًا يا عزيزتى .. لقد أضعنا وقتًا ثمينًا .

انطلقت (منى) بالسيارة مرة أخرى ، وهى تلاحظ توتر (أدهم) ، الذى يتصاعد مع اقترابهما من قصر (سونيا) ، حتى لاح القصر أمامهما ، فقالت :

- البوّابة مغلقة .

صاح بها (أدهم) :

- اخترقيها يا (منى) .

ضغطت دوّاسة الوقود ، وانقضّت على البوّابة ، وهى تهتف :

- سأخترق الجحيم نفسه من أجلك .

واستجابت البوّابة لتلك الضربة القوية ، وتجاوزتها (منى) بسرعة كبيرة ، وهى تقول :

- من حسن الحظ أن محرّك (البورش) فى الخلف ، وإلا ..

قاطعها (أدهم) هاتفًا :

- انظرى .. هناك .

ضغطت فرامل السيارة بسرعة ، ورفعت عينيها إلى سطح القصر ، وشاهدت ذلك الذى أثار توتره إلى هذا الحد ..

كانت (سونيا جراهام) تعدو على السطح ، حاملة حقيبتها ، نحو الهليوكوبتر ، التى يجلس داخلها ابنها .. ابن (أدهم صبرى) ..

وكان من الواضح أنهما قد وصلا متأخرين .. أو بعد فوات الأوان .

* * *



٨ - الهروب ..

فتح (حسام) عينيه فى حذر ، فى حجرته بمستشفى (بروكلين) ، ثم نهض من فراشه ، وسار على أطراف أصابعه ، وألصق أذنه بباب الحجرة ؛ ليستمع إلى حديث طاقم الحراسة ، قبل أن يبتسم مغمغمًا :

- عظيم .. إنهم منشغلون عنى تمامًا .

وعاد فى خفة إلى المنطقة المجاورة لفراشه ، وهو يقول :

- هناك ألم بالتأكيد ، فى ذراعى اليسرى ، وفخذى اليمنى ، ولكننى أعتقد أنهما يعملان بكفاءة .

قبض عضلاته ، وأرخاها عدة مرات ، ثم حرّك جسده فى مرونة ، مراجعًا بعض حركات لعبة (التايكوندو) ، ثم اعتدل ، وشدّ قامته ، متمتمًا :

- عظيم .. لو تجاهلت الألم ، فكل شىء يعمل على ما يرام .

سمع من الخارج صوت الطبيب ، يقول لطاقم الحراسة :

- هل يمكنننى معـــاودة مريضى، أم أن هذا أيضًا محظور ؟

أجابه أحد رجال الطاقم :

- لا أحد يمكنه منعك من هذا أيها الطبيب .

أسرع (حسام) عائدًا إلى فراشه، واستلقى فيه، فى نفس اللحظة التى فتح فيها الطبيب باب الحجرة، وهو يقول :

- كيف حال مريضنا ؟

انتظر (حسام) حتى أغلق الطبيب الباب خلفه، وأجاب بصوت يوحى بالضعف والوهن :

- مازلت أجهل من أنا، وأشعر بضعف شديد .

ربَّت الطبيب على كتفه، وقال :

- سينتهى هذا بسرعة .

ثم التفت إلى الأجهزة، وقال :

- عجبًا !.. هذه الأجهزة تقول : إنك فى حالة جيدة، و...

قاطعه (حسام) فى هدوء :

- سيِّدى الطبيب .. أرجو ألا تحمل لى أية ضغينة، فأنا مضطر .

أدهش الطبيب أن يستعيد الصوت قوته وحيويته بهذه السرعة، ولكنه التفت إليه، يسأله :

- مضطر لماذا ؟

ثم شهق فى دهشة، عندما فوجئ بـ (حسام) يقف خلفه تمامًا، ويقول :

- لهذا .

قالها، وهوى على فك الطبيب بلكمة قوية، ثم تلقَّاه بين ذراعيه، عندما سقط فاقد الوعى، وحمله إلى فراشه، وخلع عنه معطفه الطبى، وأرقده فى الفراش بهدوء، قبل أن يرتدى هو المعطف، ويدير عينيه فى الحجرة، مغمغمًا :

- والآن ما الخطوة التالية ؟

وفى الخارج، ألقى أحد رجال طاقم الحراسة نظرة على ساعة يده، وقال لرفاقه :

- الطبيب استغرق وقتًا طويلًا فى الداخل هذه المرة .

أجابه أحد زملائه فى بساطة :

- ربما يحتاج ذلك الوغد إلى رعاية أكثر هذه المرة .

هزَّ الرجل رأسه نفيًا، وقال :

- لست أشعر بالاطمئنان .

ثم نهض، واتجه إلى باب الحجرة، مستطردًا :

- سأتفقَّد الأمر بنفسى .

ولكن فجأة، انفتح الباب فى عنف، واندفع منه رجل يرتدى معطف الأطباء، ويصرخ :

- حريق .. حريق .. اشتعلت النيران فى أحد الأجهزة .

ومن خلفه، بدت ألسنة اللهب واضحة، فاندفع رجال الحراسة ينتزعون أسطوانات الإطفاء، وأسرعوا إلى الحجرة، فى محاولة لإطفاء النيران ..

أما (حسام)، فقد واصل العدو، وهو يصرخ :

- نيران .. نيران فى الحجرة رقم (٩) .

حتى بلغ بوَّابة المستشفى، وغادرها إلى موقف السيارات، حيث قفز داخل واحدة من السيارات الكبيرة، مغمغمًا :

- الآن بقيت خطوة واحدة .

وانتزع سلكين من أسفل عجلة القيادة، وأوصلهما ببعضهما، واستمع إلى هدير المحرِّك، وابتسم متمتمًا :

- عظيم .

وفى اللحظة التى انطلق فيها بالسيارة، مغادرًا المكان، كان رجال الحراسة قد انتهوا من إطفاء النيران، وهتف أحدهم :

- عجبًا !.. ألا يوجد نظام إطفـاء آلـى فى هذا المستشفى ؟

أجابه زميله :

- فى المخازن فحسب، فالماء قد يؤذى المرضى هنا .

ثم التفت إلى الفراش، مستطردًا :

- وبمناسبة الحديث عن المرضى .. أليس من العجيب أن يحدث كل هذا، دون أن يستيقظ مريضنا، ولو لحظة واحدة ؟!

اتجه أحدهم إلى الفراش، وجذب الغطاء عن الراقد، قائلًا :

- بلى .. هذا ليس بالأمر الـ...

ثم شهق، قبل أن يستطرد :

- اللعنة !!.. إنه الطبيب .

تفجَّر مزيج من الذهول والغضب فى عيونهم، ثم صرخ أحدهم :

- يا للشيطان !.. لقد فر أمام أعيننا .

واندفعوا جميعًا يبحثون عن (حسام) فى كل مكان، ولكن ..

لم يعد هناك أمل فى العثور عليه ..

لقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

* * *

ما إن وقع بصر (منى) على (سونيا) ، وهى تعدو نحو الهليوكوبتر ، على سطح قصرها ، حتى أيقنت من أنها و (أدهم) قد وصلا بعد فوات الأوان ، فالمسافة التى تفصلهما عن غريمتهما ، لا تسمح لهما باللحاق بها ، مهما بلغت سرعتهما ..

وربما كان هذا شعور (أدهم) أيضًا ..

ولكن ابنه فعل أمرًا عجيبًا للغاية ..

لقد اعتدل فى مقعده الخلفى ، وألقى نظرة طويلة على (أدهم) ، الذى يبعد عنه مسافة كبيرة ، ثم تهللت أساريره ، ولوّح بكفه ، هاتفًا :

ـ بابا .

وهنا ، تفجّرت مشاعر الدنيا كلها فى أعماق (أدهم) ، وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يهتف :

ـ لن تفر به (سونيا) مرة أخرى .

ودفع باب السيارة ، وقفز منها ، وانطلق يعدو نحو القصر ..

واتسعت عينا (منى) فى ذهول ..

صحيح أنها تعمل إلى جوار (أدهم) ، منذ عدد لا بأس به من السنين ، وشاهدت منه أعمالاً يعجز عن تصديقها العقل ..

ولكنه فى هذه المرة ، كان مختلفًا تمامًا ..

كان يعدو بسرعة خرافية ، وكأنه تحوّل إلى آلة للعدو ، تعمل بمحرّك جبار ، ولا تسعى إلا خلف هدف واحد ..

ابنه ..

وعند باب القصر ، اعترضه أحد الخدم ، قائلاً :

ـ سيّدى .. ليس من حقك أن ..

ولكن (أدهم) أزاحه عن طريقه بلكمة كالقنبلة ، ألقت المسكين ثلاثة أمتار إلى الوراء ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ، فى حين اندفع (أدهم) نحو درجات السلم ، وراح يصعد إلى الطوابق العليا كمصعد خرافى .

وعلى السطح ، قفزت (سونيا) داخل الهليوكوبتر ، وضغطت أزرارها فى عصبية ، وهى تقول :

ـ أسرعى أيتها اللعينة .. أسرعى .. لا تجعليه يلحق بنا أبدًا .

وفى الوقت نفسه ، قفزت (منى) خارج السيارة ، وصوّبت مسدسها إلى (سونيا) ، صارخة :

ـ استسلمى يا (سونيا) ، وإلا أطلقت النار .

ولكن (سونيا) صاحت بها :

ـ افعلى أيتها الحمقاء .. ستكون فرصة لاختبار طائرتى المصفّحة .

ودارت مراوح الهليوكوبتر ، وراحت الطائرة ترتفع ، وتتجه نحو حافة السطح ، و (منى) تهتف :

ـ فليكن .. دعينا نختبرها .

وأطلقت رصاصات مسدسها نحو الهليوكوبتر ..

ولكن الطائرة كانت مصفّحة بحق ..

لقد ارتطمت بها الرصاصات ، وارتدّت عنها فى عنف ، وهى ترتفع ، وترتفع ..

ثم ظهر (أدهم) عند السطح ..

ومع ظهوره ، رفعت (سونيا) عصا القيادة ، هاتفة :

ـ هيّا .. ابتعدى .. ابتعدى .

وانطلقت الهليوكوبتر مبتعدة ..

وانطلق خلفها (أدهم) ..

وتجاوزت الهليوكوبتر حافة السطح ، وابتعدت أكثر ، وأكثر ..

وبلا تردّد ، قفز (أدهم) خلف الهليوكوبتر ..

وصرخت (منى) :

ـ لا يا (أدهم) .. لا .

وكان لصرختها ما يبررها هذه المرة ..

فعلى الرغم من أن قفزة (أدهم) كانت قوية ومدهشة للغاية ، وتتجاوز الأمتار الستة ، على نحو ينافس أبطال

العالم فى الوثب الطويل ، إلا أن الهليوكوبتر كانت قد ابتعدت لأكثر من ثمانية أمتار ..

ولهذا لم يدركها (أدهم) ..

لقد سبح جسده فى الهواء لمسافة طويلة ، قبل أن يبدأ الهبوط بزاوية حادة ، وهو يصرخ غاضبًا :

ـ لن تفلتى منى يا (سونيا) .

وصرخت (منى) مرة أخرى ، وجسده يهوى من ارتفاع عشرة أمتار نحو الأرض العشبية ، ولكن (أدهم) ثنى جسده المرن فى مهارة ، ودار به دورة رأسية عكسية ، خفّفت من سرعة هبوطه ، وهو يثنى ركبتيه ، ويهبط على قدميه أرضًا ، ثم يقذف جسده إلى الأمام ، ويتدحرج بضع لحظات ، ثم يهبّ واقفًا على قدميه ، ومكرّرًا :

ـ لن تفلتى أبدًا .

ولكن (سونيا) دارت بالهليوكوبتر فوق رأسه ، وهى تطلق ضحكة ظافرة عالية ، قبل أن تقول :

ـ انس ابنك تمامًا منذ هذه اللحظة يا (أدهم) .. لن تراه أبدًا .. أبدًا .

ثم انطلقت بالهليوكوبتر ، مستطردة :

ـ خذها كلمة من زوجتك السابقة .



وصرخت (منى) مرة أخرى ، وجسده يهوى من ارتفاع عشرة أمتار نحو الأرض العشبية ..

.ارتجفت (منى) مع سماعها لهذه العبارة ، وخفضت عينيها بسرعة إلى (أدهم) ، الذى عبّرت ملامحه عن ألم ومرارة لاحد لهما ، وهو يتابع طائرة (سونيا) ، التى تنطلق بأقصى سرعتها ، فى اتجاه أكثر مناطق (نيويورك) ازدحامًا ، وهى تحمل داخلها الشخص الوحيد ، الذى يمكن أن ينفطر من أجله قلب (أدهم) تمامًا ..

ابنه ..

★ ★ ★

احتقن وجه المفتش (فيليب) فى شدة ، وهو يضرب سطح مكتبه بقبضته ، صائحًا فى وجوه رجاله :

ـ هرب ؟!.. هكذا ؟.. بكل بساطة ؟!.. أى رجال أنتم ؟.. أية تدريبات تلك التى تلقيتموها لحراسة السجناء ؟.. أين تلقيتم تدريباتكم أيها السادة ؟.. فى ملعب بيسبول؟!(★) .

غمغم أحدهم فى عصبية :

(★) البيسبول: كرة القاعدة الرياضة الوطنية فى (أمريكا)، وتستمد اسمها من القواعد الأربع ، الموجودة فى أرض الملعب، يلعبها فريقان ، يتكوّن كل منهما من تسعة لاعبين .. المرسل والمتلقى ، وأربعة داخليون ، وثلاثة خارجيون ، وقد أخذت هذه اللعبة من لعبة (الكريكت) الإنجليزية ، وتطوّرت قواعدها فى (أمريكا) .

ـ كل شىء كان يوحى بأن الرجل محطّم ومنهك للغاية .. من كان يتصوّر أنه يستطيع فعل كل هذا ؟

صرخ (فيليب) فى وجهه :

ـ رجل الحراسة الناجح ، ينبغى له أن يتصوّر كل شىء ، حتى أعقد الأمور ، وأكثرها استحالة .. ولكن ماذا أفعل معكم الآن .. لقد سمحتم لرجل حطّم نصف إدارة الشرطة بالفرار ، وأنتم منهمكون فى إطفاء حريق وهمى .

وزفر فى حنق ، وهو يقلب كفيه ، مستطردًا :

ـ كل ما أملكه الآن هو توزيع نشرة بأوصافه ، مع صورة واضحة له ، على كل رجل شرطة فى المدينة ، وأعلن عن مكافأة لمن يلقى القبض عليه ، أو يدلى بأية معلومات تفيد فى إلقاء القبض عليه ، و ..

قاطعه رنين الهاتف ، فالتقط سمّاعته بحركة آلية ، وقال :

ـ المفتش (فيليب) .. من المتحدّث ؟

أتاه صوت أنثوى دافئ ، يجيب :

ـ أنا (جوان) يا عزيزى (فيليب) .

هتف فى حرارة :

ـ مسز (جوان) .. أين أنت ؟.. كنت سأتصل بك الآن ، بشأن ..

قاطعته بنفس الصوت الدافئ الناعم :

ـ لن تجدنى يا (فيليب) .. لقد رحلت .

هتف فى دهشة :

ـ رحلت ؟!.. ماذا تعنين ؟

أجابته :

ـ دعك من هذا الآن يا (فيليب) ، واستمع إلىّ جيدًا ، فلدى معلومات بالغة الأهمية ، ينبغى أن تعرفها على الفور .

حاول أن يسألها عما تعنيه ، ولكنها أكملت فى سرعة :

ـ هناك شبكة جاسوسية ، تسعى لاغتيال الرئيس ، فى أثناء زيارته لمدينة (نيويورك) غدًا .

اتسعت عيناه فى دهشة عارمة ، وهو يهتف :

ـ اغتيال من ؟!.. من أين أتيت بهذه المعلومات البالغة الخطورة يا مسز (آرثر) ؟

أجابته فى سرعة ، وبصوت متهدج ، يوحى بالتأثر :

ـ صدقنى يا (فيليب) .. لايمكننى الإفصاح عن اسم مصدرى ، فهوى يخشى على حياته .. إنه منشق عنهم ، وسيقتلونه حتمًا لو عرفوه ، ولكن ثق بما أقول يا (فيليب) .. إنها معلومات مؤكدة .

سألها فى توتر :

ـ ولكن من هم الذين يحاولون هذا .. ما أسماؤهم ؟ وكيف يبدون ؟

أجابته على الفور :

ـ إنهم يحملون أسماء مستعارة بالتأكيد ، ولكن ها هى ذى صورهم .. سأرسلها عن طريــق جهــاز (الفاكس) .

ضغط (فيليب) زر استقبال (رسائل الفاكس) ، وهو يقول :

ـ إلىَّ بها .

لم تمض لحظات ، حتى بدأ جهاز (الفاكس) فى استقبال صورتين واضحتين ، إحداهما لـ (منى) والأخــرى لـ (أدهم) ، وسألها (فيليب) فى قلق :

ـ اثنان فقط ؟!.. رجل وامرأة ؟!

أجابته فى نعومة :

ـ إنهما من يعرفهما مصدرى .. ابحث عن الباقين بنفسك يا (فيليب) .. أعلم أنك أهل لهذا .

أجابها المفتش فى حزم :

ـ نعم .. أنا كذلك .

وأنهى المحادثة ، وهو يرفع عينيه لرجاله ، قائلًا :

ـ أفرغوا عقولكم من كل ما بها أيها السادة ، فلدينا مهمة بالغة الخطورة ، تحتاج إلى كل طاقاتنا .. سنجند كل رجل شرطة فى (نيويورك) ، للظفر بهذين .

ووضع أمامهما صورتى (أدهم) و (منى) ..

وبدأت حرب جديدة ..

★ ★ ★



٩ ـ البحث ..

التقط (قدرى) نفسًا عميقًا ، ليملأ أنفه برائحة شطيرة اللحم الطازجة ، التى صنعها لنفسه ، ولعق شفتيه بلسانه ، وهو يغمغم :

ـ أعظم ما فى (أمريكا) أنهم يتناولون الكثير من اللحوم .

قضم قضمة كبيرة من الشطيرة ، وعاد ينهمك فى عمله الدقيق ، وهو يلوكها فى فمه ، حتى سمع من خلفه صوتًا يقول فى هدوء :

ـ يا لها من مفاجأة !.. أنت هنا أيها البدين .

قفز (قدرى) من مكانه ، والتفت إلى صاحب الصوت فى دهشة ، قبل أن يهتف فى سعادة :

ـ (حسام) .. إذن فقد نجحت فى الفرار منهم يا رجل .. يا إلهى !.. كنت أتوقع هذا .

وصافحه فى حرارة بالغة ، و (حسام) يقول :

ـ يُسعدنى أنك تعلم قدراتى الحقيقية يا رجل .. قليلون هم من يعترفون بها .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ أخبرنى يا فتى .. كيف فعلت هذا ؟.. هل حطمت أنوفهم جميعًا ؟

ابتسم (حسام) ، وهو يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، قائلًا :

ـ بل سيدهشك أننى نجحت فى الفرار ، دون أن ألكم رجلًا واحدًا .

ثم تلفَّت حوله ، مستطردًا :

ـ ولكن يدهشنى بالفعل أن أجدك هنا .. أنا أعرف عنوان هذا المنزل الآمن ، ولكن كان المفروض أن أجده خاليًا ، أو أجد فيه (أدهم) و (منى) .. لو أنهما نجحا فى مهمتهما .

أجابه (قدرى) فى زهو ، وكأنه يتحدَّث عن نفسه :

ـ لقد فعلا ، وهما الآن يسعيان خلف (سونيا جراهام) ، أما أنا ، فقد طلب (أدهم) انضمامى لكم رسميًا .

عقد (حسام) حاجبيه ، وقال :

ـ آه ... هذا يعنى أننى الوحيد الذى عجز عن إتمام مهمته .

قال (قدرى) :

ـ ولكنك قلبت (نيويورك) كلها رأسًا على عقب يا رجل .

أجابه (حسام) فى حنق :
ـ بالطبع .. ولكن دون الوصول إلى هدف واحد .
أدرك (قدرى) ما يعانيه (حسام) ، فقال محاولاً تغيير دفة الحديث :
ـ قل لى : هل تناولت طعامك ؟.. يمكننى أن أعد لك شريحة لحم شهية .
ولكن (حسام) مطّ شفتيه ، قائلاً :
ـ ومن يرغب فى تناول الطعام ؟
ثم اتجه إلى النافذة ، وأزاح أستارها ، ليتطلّع فى ضيق إلى الخارج ، مستطردًا :
ـ كل ما يمكننى فعله الآن ، هو أن أجلس فى انتظار القائد .
وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى شىء من الحدة :
ـ فهو وحده يعلم ما ينبغى فعله ، فى الخطوة التالية .
وأدرك (قدرى) أن الأمور كلها تغلى فى أعماق (حسام) ..
تغلى كبركان ثائر ..

★ ★ ★

لم ينبس (أدهم) ببنت شفة ، وهو يجلس إلى جوار (منى) ، و (البورش) تنطلق بهما ، عائدة إلى المنزل الآمن ..

وكانت (منى) تدرك ما يدور فى أعماقه ..
وتشعر بمرارته وآلامه ..
ليس من السهل عليه أبدًا أن يرى (سونيا) ، وهى تفرّ أمام عينيه ، مصطحبة طفله للمرة الثانية ..
ثم إن ما فعله الطفل كان مذهلاً ..
لقد رأى والده ، الذى لم يره منذ فترة طويلة ، وتعرّفه ..
وهتف يناديه ..
ما أقساه من موقف ، على نفس (أدهم) ..
ما أعنفها من مواجهة ..
وبين ضلوعها ، راح قلبها يختلج فى حنان ولوعة ، وتمنت لو أنها احتوت رأسه بين ذراعيها ، وأراحته على صدرها ، لتواسيه ، وتمنحه حبها وحنانها ، وتمتص منه آلامه وحزنه ومرارته .. وعلى الرغم من خجلها ، عجزت عن منع يدها من التربيت على يده فى حنان ، وهى تقول :
ـ سنعثُر عليها بإذن الله .
غمغم فى مرارة :
ـ هذا ما أتمناه .
ثم زفر فى حزن ، وأشاح بوجهه ، وكأنه يخفى انفعاله ، فقالت (منى) فى حنان :

ـ لم أرك يومًا حزينًا إلى هذا الحد .
هزّ رأسه فى مرارة ، وقال :
ـ أنا نفسى لم أتصوّر أننى سأشعر بكل هذا يومًا ما ، ولكن ..
صمت لحظة ، وكأنه يحاول السيطرة على انفعاله ، إلا أن صوته جاء متهدّجًا ، وهو يكمل :
ـ ولكنه ابنى يا (منى) .
كادت دموعها تتفجّر من عينيها ، وهو ينطق هذه العبارة ، وأمسكت أصابعها كفه ، وضغطته فى رقة وحنان ، وحاولت أن تقول شيئًا ما ، ولكن تلك الغصة فى حلقها منعتها من النطق ، فتمتمت بصوت متحشرج :
ـ أعلم هذا .
ولم يتبادل أحدهما كلمة واحدة مع الآخر ، حتى أصبحا فى قلب (نيويورك) ، فأوقفت (منى) السيارة ، وحاولت أن تبتسم ، وهى تقول :
ـ لابد لنا من شراء بعض الأطعمة والمشروبات ، فصديقنا (قدرى) لا يمكنه احتمال الجوع لحظة واحدة .
تمتم (أدهم) فى خفوت :
ـ لا بأس .. ما الذى ترغبين فى شرائه .
قالت وهى تغادر السيارة :

ـ دع لى هذه المهمة .. النساء خير من يقمن بعمليات الشراء .. انتظرنى هنا ، وسأعود بأسرع ما يمكننى .
واتجهت فى نشاط إلى متجر كبير ، وراحت تنتقى الأطعمة داخله فى سرعة ، ثم اتجهت إلى المحصّل ، قائلة بابتسامة كبيرة :
ـ هذا كل ما وقع اختيارى عليه .
ولكن الرجل حدّق فى وجهها بدهشة بالغة ، قبل أن يهتف :
ـ رباه !.. إنك هى .. إنهم يذيعون نشرة بأوصافك وأوصاف رفيقك ، كل عشر دقائق .
انعقد حاجبا (منى) فى دهشة واستنكار ، وهى تغمغم :
ـ أوصافنا ؟!
قالتها وهى تتراجع فى سرعة ، ولكن حارس أمن المتجر انتزع مسدسه ، وهو يهتف :
ـ توقفى ، أو أطلق النار .
ألقت (منى) كل ما تحمله فى وجهه ، وهى تقول :
ـ أشكر لك دعوتك الكريمة .
ثم استدارت على عقبيها ، وانطلقت تعدو ، مستطردة :
ـ ولكن لدى موعد سابق .
صرخ الحارس :

أوقفوها .. إنها القاتلة .

وأطلق رصاصتين من مسدسه ، أصابت إحداهما علبة مياه غازية ، ونسفتها فى عنف ، فى حين اخترقت الثانية زجاج واجهة المتجر ، وعبرت الشارع ، لتغوص فى الجدار المقابل .

واندفع اثنان من رجال الشرطة ، لمعرفة ما يحدث فى المتجر ، عندما اندفعت (منى) خارجة ، والحارس يهتف من خلفها :

ـ اقبضوا عليها .. إنها القاتلة ، التى يذيعون أوصافها .

أخرج رجلا الشرطة سلاحيهما ، وأحدهما يهتف :

ـ توقفى يا سيِّدتى ، وإلا ..

فاجأهما صوت صارم من خلفهما ، يقول :

ـ معذرة ، ولكن السيِّدة ترفض التوقف .

إستدارا إليه فى سرعة ، ولكن قبضته حطَّمت أنف أوَّلهما ، وكسرت فك الثانى ، قبل أن يدركا بالضبط ما يواجههما ، وصاحت (منى) :

ـ أسرع يا (أدهم) ، سنعود إلى السيارة ، و ..

جذبها من ذراعها فى قوة ، قائلًا :

ـ انسى أمر السيارة الآن .

وانحرف بها فى طريق جانبى ، وراح يتحرَّك بسرعة كبيرة ، فسألته فى حيرة وتوتر :

ـ ولماذا نترك السيارة ؟

أجابها فى حزم :

ـ لأنها واضحة ومميَّزة ، ولها رقم محدود ، وبها إصابة فى مقدمتها ، يمكن تمييزها من بين ألف سيارة مشابهة ، ولو أننا انطلقنا بها الآن ، ستجدين أوصافها ورقمها لدى كل ضابط شرطة فى (نيويورك) ، خلال دقيقتين على الأكثر .

أدركت أنه على حق ، وهزَّت رأسها فى توتر ، قائلة :

ـ يا إلهى !.. إنهم يذيعون أوصافنا .. كيف توصلوا إلى هذا ؟

قال فى غضب واضح :

ـ هذا الإجراء يحمل توقيع (سونيا جراهام) .

هتفت :

ـ ولكن كيف فعلته ؟

أجاب :

ـ الأفعى تصنع سمها بنفسها دائمًا .

ثم انحرف فى شارع آخر ، مستطردًا :

ـ المهم الآن علينا أن نتفادى الشوارع الرئيسية ، وسنصل إلى المنزل الآمن بعد ربع الساعة على الأكثر .

قالت فى قلق :

ـ سنكون بهذا أوَّل أجانب يختارون شوارع (نيويورك) الخلفية لسيرهم .. ألا تعلم ما يقولونه عن هذه الأماكن .. يقولون : إنها الطريق الأكثر سهولة ، لبلوغ الجحيم .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى برز أمامهما اثنان من الزنوج ، مفتولى العضلات ، يحمل أحدهما مسدسًا كبيرًا ، فى حين يلوِّح الثانى بهراوة ضخمة ، ذات نتوءات بارزة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ مرحبًا .. أية رياح عفنة ، ألقت بكما هنا ؟

توقَّف (أدهم) ، وسأله فى صرامة :

ـ ماذا تريدان ؟

قهقه الزنجيان ضاحكين ، وقال حامل الهراوة :

ـ ماذا نريد ؟!.. ياله من سؤال يا رجل !.. إن لديك الكثير مما نريده .. نقودك مثلًا ، وهذه السترة الأنيقة .

أضاف الثانى فى لهفة :

ـ وتلك الحسناء .

تشبثت (منى) بذراع (أدهم) ، فضغط يدها برفق مطمئنًا ، وقال :

ـ ماذا لو رفضت ؟

تبادل الزنجيان نظرة ساخرة ، ثم قال حامل المسدس :

ـ سيكون هذا من سوء حظك .

لم يكد يتم عبارته ، حتى برز ثلاثة زنوج آخرون ، من حول (أدهم) و (منى) ، وكل منهم يحمل مدية حادة ، وهم يبتسمون فى سخرية ، فى حين أضاف حامل المسدس :

ـ هل فهمت ما أعنيه يا رجل ؟

أدار (أدهم) عينيه فى وجوه الخمسة ، ثم ربَّت على يد (منى) ، وقال بالإنجليزية :

ـ انتظرى قليلًا يا عزيزتى .. سأتخلص من هؤلاء الأوغاد ، ونواصل طريقنا على الفور .

انعقدت حواجب الزنوج الخمسة فى غضب ، فى حين ابتعدت (منى) ، لتلصق ظهرها بالحائط ، وهى تسأله فى هدوء مستفز :

ـ هل تحب أن أعاونك ؟

أجابها فى بساطة :

ـ لماذا ؟.. إنهم خمسة فحسب .

صرخ أحد الزنوج فى غضب هادر ، وهو ينقض على (أدهم) :

ـ حسن أيها المغرور ، ستدفع الثمن غاليًا .

وهوى بمديته على عنق (أدهم) ، ولكن هذا الأخير

استقبل ذراع الرجل بحركة سريعة ماهرة ، أمسك بها معصم خصمه ، ولواه فى عنف ، ثم ركل قدم الرجل ، الذى دار جسده فى الهواء ، وارتطم بالأرض فى قوة ، وهو يطلق صرخة ألم ، جعلت زملاءه ينقضون على (أدهم) ، صارخين فى غضب هادر ..

واستقبلهم (أدهم) بقبضتيه وقدميه ..

وكان أسوأ يوم فى عمرهم كله ..

لقد تحطَّم أنف أوَّلهم تمامًا ، وفقد الثانى خمسًا من أسنانه ، فى حين خُيِّل للثالث أن معدته قد التصقت بعموده الفقرى ، ثم وثبت إلى حلقه ، وأفرغت أحشاءه بين قدميه ، أما الرابع ، فلوَّح بمسدسه صارخًا :

ـ سأقتلك أيها الوغد الأبيض ، سأقتلك بلا رحمة .

ولكن (أدهم) وثب وثبة رائعة ، وركل المسدس من يد الزنجى ، ثم أطبق على عنقه بأصابع من فولاذ ، وهو يقول :

ـ أوافقك على مبدأ اللا رحمة أيها الوغد .

ثم هوى على معدته بلكمة كالقنبلة ، مضيفًا :

ـ فأنت لا تستحقها .

ولم تحاول (منى) التدخَّل فى ذلك القتال قط ، فهى تعلم أن (أدهم) كفيل بالرجال الخمسة ، ثم أنه يحتاج بشدة لمثل هذا النشاط ، لإفراغ توتره وغضبه ..



ولكن هذا الأخير استقبل ذراع الرجل بحركة سريعة ماهرة ، أمسك بها معصم خصمه ..

ومع سقوط الرجل الأخير ، اعتدل (أدهم) ، وعدَّل هندامه ، قائلًا :

ـ هل تأخَّرت عليك يا عزيزتى ؟

ابتسمت قائلة :

ـ مطلقًا .

وتأبَّطت ذراعه ، مستطردة فى ارتياح :

ـ هيَّا بنا .. لا ريب أن (قدرى) ينتظرنا فى قلق .

قطعا طريقهما ، عبر الشوارع الخلفية ، حتى بلغا المنزل الآمن وما إن دلفا إليه ، حتى هتفت (منى) فى سعادة :

ـ (حسام) ؟!.. يا لها من مفاجأة !.. كيف هربت منهم ؟

وابتسم (أدهم) ، قائلًا :

ـ مرحبًا يا (حسام) .. لم يكن لدى أدنى شك فى أنك ستأتى فى موعدك ، على الرغم من كل الظروف .

صافحهما (حسام) فى شىء من البرود ، وهو يقول :

ـ وماذا عن مهمتكما ؟.. هل ظفرتما بـ (سونيا) هذه ؟

أجابته (منى) :

ـ كلَّا .. لقد نجحت فى الفرار .

رفع (حسام) حاجبيه ، قائلًا :

ـ حقًّا ؟!

نطقها فى لهجة عجيبة ، تجمع ما بين التساؤل والارتياح والشماتة ، حتى أن (منى) تطلَّعت إليه فى دهشة ، فى حين تجاهل (أدهم) هذا ، وهو يقول :

ـ لقد أذاعوا أوصافنا .

ابتسم (حسام) ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، ويستند بكتفه إلى الجدار ، قائلًا :

ـ أعلم هذا .. لقد شاهدناكما على شاشة التلفاز ، أنا و (قدرى) .

ومرة أخرى ، لم ترق ابتسامته ولهجته لـ (منى) ، وهمَّت بالإفصاح عن هذا ، لولا أن برز (قدرى) من الحجرة المقابلة ، وهو يقول :

ـ هذا لا يهم .

ثم رفع يده بثلاثة جوازات سفر ، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

ـ لقد أنجزت العمل .

ابتسم (أدهم) ، وهو يتجه إليه ، قائلًا :

ـ عظيم .. دعنى أمتِّع عينىَّ برؤية ما فعلته .

والتقط جوازات السفر ، التى تحمل الطابع الدبلوماسى ، وطالعها فى إعجاب ، و (قدرى) يجفِّف يديه ، قائلًا :

- الآن أصبحتم من العاملين فى سفارة (إسرائيل) فى (هولندا)، وتقضون بعض الوقت فى الولايات المتحدة للسياحة .. أنت يا (أدهم) أصبحت (إفرام صائغ)، الملحق العسكرى، و (حسام) هو (ديفيد كاهان)، الملحق الصحفى، أما (منى)، فهى (سارة جولد شتاين)، السكرتيرة الأولى للسفارة .

سأله (حسام) :

- ولماذا نسبتنا جميعًا إلى مكان واحد ؟.. ألم يكن من الأفضل أن ننتسب إلى أماكن مختلفة ؟

هزّ (قدرى) رأسه نفيًا، وأجاب :

- على العكس .. هذا يمنحكم فرصة التحرك معًا، دون إثارة أدنى شبهة .

قال (حسام) فى حدة :

- ويساعد أيضًا على الإيقاع بالجميع، فور سقوط شخص واحد .

بدا الضيق على وجه (قدرى)، فقال (أدهم) فى هدوء :

- اطمئن .. (قدرى) خبير فى مهنته، وهو يدرك ما يفعله جيدًا .

صاح (حسام) فى غضب :

- بالطبع .. الجميع خبراء، ويدركون جيدًا ما يفعلونه .. (قدرى)، و (منى)، وأنت أيها البطل الأسطورى، الذى لا يخطئ أبدًا .. أليس كذلك ؟

حدّق فيه (قدرى) فى دهشة، وعقدت (منى) حاجبيها فى غضب متوتر، فى حين حافظ (أدهم) على هدوئه، وهو يجيب :

- جلّ من لا يخطئ يا (حسام) .. كل البشر خطاءون .

صاح (حسام)، وهو يشير إليه فى عصبية :

- إلا أنت .. تاريخك كله يقول : إنك لم تخسر معركة قط .. حتى بعد أن انضمت إليك زميلتنا الحسناء .. أراهن أن دفء حبها كان يدفعك دائمًا إلى الأمام .. أليس كذلك ؟

قال (أدهم) فى صرامة :

- دع (منى) خارج الموضوع .

صاح (حسام)، وهو يلوّح بقبضته :

- كيف ؟!.. أليست المحبوبة الناعمة الجميلة، التى تدفع حبيبها دائمًا إلى الأمام، والتى ..

فجأة اندفعت يد (أدهم) لتقبض على معصمه، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

- قلت لك : لا تذكر اسم (منى) قط، فى هذا الموضوع .

جذب (حسام) يده من بين أصابع (أدهم) فى قوة، ولكنه شعر بتلك الأصابع ككلّابة من الفولاذ تحيط بمعصمه، فهتف فى حدة :

- هل تريد قتالًا ؟!.. فليكن .

وقفز ليركل (أدهم) فى فكه، ولكن (أدهم) أمسك قدمه، ودفعه فى عنف نحو الأريكة، فسقط (حسام) فوقها، وانقلب معها أرضًا، و (قدرى) يهتف :

- يا إلهى !.. ماذا تفعلان ؟

هبّ (حسام) واقفًا، ولكن (أدهم) انقضّ عليه فى خفة، ولوى ذراعه خلف ظهره، و (منى) تصرخ :

- لا .. لا تتشاجران .

حاول (حسام) أن يواصل القتال، إلا أن (أدهم) قال له فى صرامة :

- اهدأ يا رجل، وكف عن تلك السخافات .. ألا تدرك أنك تعرّض مهمتنا كلها للخطر، من أجل انفعال أحمق ؟

تقافزت شياطين الغضب فى وجه (حسام)، وهمّ بالصياح مرة أخرى، ولكن (منى) صرخت فى لوعة :

- كفى بالله عليكما .. كفى .

تخلّى (أدهم) عن (حسام) فى هدوء، وربّت على كتفه، قائلًا :

- لا تقلقى يا عزيزتى .. الزملاء لا يتشاجرون قط فى عالم المخابرات .

استدار إليه (حسام)، وتطلّع إلى عينيه لحظة، ثم أشاح بوجهه، وألقى جسده على مقعد قريب، وهو يغمغم :

- بالتأكيد .

نقل (قدرى) عينيه بين وجوه الجميع فى توتر، ثم رسم على شفتيه ابتسامة، وهو يقول :

- هه .. ألن نتناول الطعام ؟.. لقد انتظرت عودتكما طويلًا .

وحاولت (منى) الاندماج معه، لتخفيف حدة الموقف، فأطلقت ضحكة مفتعلة، وقالت :

- عندى لك خبر غير سار، فى هذا المضمار .. لقد فقدنا الطعام، فى أثناء هروبنا من رجال الشرطة .

رفع (قدرى) حاجبيه، وهتف فى مرح :

- وهل كنت أنتظر عودتكما لإحضار الطعام ؟. لقد ابتعت الكثير منه بالفعل ..

ما رأيكم فى شطائر اللحم بالصلصة الحارة .

ابتسم (أدهم)، وهو يقول :

- وجبة رائعة .

وتمتم (حسام) :

- نعم .. هى كذلك .

ثم نهض من مقعده، واتجه إلى حجرته، قائلًا :

- سأستريح قليلًا، حتى يتم إعدادها .

وصفق الباب خلفه فى عنف، فارتبك (قدرى)، وقال وهو ينسحب :

- سأعد الطعام على الفور .. أنا موهوب فى هذا المجال .

ولم يكد يختفى فى المطبخ، حتى أشارت (منى) إلى حجرة (حسام)، وهمست :

- ماذا أصابه ؟

تطلّع (أدهم) إلى الحجرة لحظة، قبل أن يجيب :

- إنه عاشق، ويشعر بالغيرة على محبوبته .

قالت فى دهشة :

- يشعر بماذا ؟

ثم أدركت ما يقصده (أدهم) بقوله، فتخضّب وجهها بحمرة الخجل، وأشاحت به متمتمة :

- وماذا يمكنها أن تفعل، وهى تعشق شخصًا آخر ؟

تطلّع إليها فى صمت، ثم قال مغيرًا مجرى الحديث :

- ألديك اقتراح محدود، بشأن المكان، الذى نبحث فيه عن (سونيا) ؟

هزّت كتفيها، وقالت :

- لو أننى فى موضعها، لغادرت (نيويورك) كلها .

سألها :

- إلى أين ؟

هزّت كتفيها، قائلة :

- هذا ما أجهله تمامًا .

عقد حاجبيه، وهو يقول :

- وهذا ما تعتمد عليه (سونيا) .. إنها تعلم أنه من المستحيل أن نبحث عنها فى قارة (أمريكا) الشمالية كلها .. لابد لنا من طرف خيط، يقودنا إلى نقطة البحث .

وشرد ببصره، مستطردًا :

- نعم .. هذا ما نحتاج إليه .. طرف الخيط .

وانطلق عقله يبحث ..

ويبحث ..

ويبحث ..

★ ★ ★

١٠ - الضربة ..

تطلّع (ألكسى ميلانوفيتش) إلى ساعته، التى أشارت عقاربها إلى منتصف الليل تمامًا، وغمغم فى عصبية :

- لماذا لم يصل (فكتور) بعد ؟

ابتسم سائق الشاحنة، التى يجلس داخلها (ألكسى)، وقال :

- لا تقلق أيها الرفيق .. إنها منتصف الليل فحسب، ومن حق المرء أن يتأخّر دقيقة أو دقيقتين .

عقد (ألكسى) حاجبيه، وقال فى عصبية :

- لا تخاطبنى بهذا اللقب .. لقد انقرض منذ فترة .

قال السائق فى سخرية :

- ولكن ذاكرتى لم تفقده بعد .

مطّ (ألكسى) شفتيه فى ضيق، وعاد يتطلّع إلى الطريق المقفر، وقد فضّل الصمت، على التحدّث مع سائق كهذا، ثم لم يلبث أن اعتدل فى اهتمام بالغ، وهو يتطلّع إلى بقعتى ضوء تقتربان، وقال فى انفعال :

- ها هوذا .

تعلّقت عيناه ببقعتى الضوء، حتى صارتا على مسافة كيلو متر واحد، وبدا من الواضح أنها شاحنة أخرى، اختارت ذلك الطريق المهجور لسيرها، فخفق قلب (ألكسى) فى شدة، والشاحنة تقترب وتقترب، وقال هو للسائق :

- إنهم ينتظرون الإشارة .. دع مصابيحك تومض ثلاث مرات متتالية سريعة .

أطاعه السائق، ونفذ ما طلبه، فاتجهت الشاحنة إليهما مباشرة، وتوقّفت إلى جوارهما، وأطلّ منها (فكتور)، قائلًا :

- هل وصلنا فى الموعد ؟

أجابه (ألكسى) :

- مع فارق دقيقة واحدة ..المهـم .. هل أحضرت المطلوب ؟

أشار (فكتور) بإبهامه، قائلًا :

- كلها هنا، ولكن ..

هتف به (ألكسى) فى عصبية :

- ولكن ماذا ؟

غمز بعينه، قائلًا :

- النقود أوّلًا .

قال (ألكسى) فى عصبية :

ـ ستجد أربع حقائب فى الخلف ، مع الرءوس الزائفة ، وهى تحوى المبلغ كله ، مع الاضافة التى طلبتها .. هل ترغب فى عدّها ؟

هزّ (فكتور) رأسه نفيًا ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ لا داعى لهذا .. أنا أثق بك .

ثم غادر شاحنته ، مستطردًا :

ـ هل أحضرت شاحنة بالمواصفات التى طلبتها ؟

أجابه (ألكسى) :

ـ نعم .. إنها تتطابق مع شاحنتك تمامًا .. حتى رقم الجسم والمحرك .. لقد طابقناها على الصور التــى أرسلتها .

قال (فكتور) :

ـ عظيم .. الآن سنتبادل الشاحنات .. أنت تستقل شاحنتى ، وأنا أستقل شاحنتك .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ ولكن أخبرنى .. كيف يمكنك إخراج شىء كهذا من البلاد ؟

أجابه (ألكسى) فى انفعال :

ـ أنسيت أننا أنشأنا شركة لتصدير المعدات الضخمة هنا يا رجل .. بعد ساعة واحدة من الآن سيتم شحن

الرءوس إلى أكبر عواصم فى العالم .. (واشنطن) ، و (لندن) ، و (باريس) ، و (القاهرة) .. أما الرأس الخامس ، فسيبقى هنا .. فى (موسكو) .

ابتسم (فكتور) ، وقال :

ـ عظيم .. أتعشّم أن تنجح لعبتك .

أجابه (ألكسى) فى حماس :

ـ ستنجح يا رجل .. ستنجح .. أنا واثق من هذا .

تبادلا الشاحنتين فى سرعة ، ولوّح (ألكسى) لزميله القديم ، قائلًا :

ـ إلى اللقاء يا صديقى ، عندما نلتقى فى المرة القادمة ، ربما أكون رئيسًا لـ (روسيا) كلها .

اتسعت ابتسامة (فكتور) ، وهو يقول :

ـ أتعشّم هذا .

وبادله التحية ، وراقبه وهو ينطلق بالشاحنة ..

أما (ألكسى) نفسه ، فكان ينطلق بشاحنته ، وانفعال هائل يعصف بكيانه ، لأنه يعلم أن العدّ التنازلى قد بدأ ، لتحقيق ضربة العصر ..

الضربة القاصمة ..

★ ★ ★

أطلّت الدهشة البالغة ، من كل خلجة من خلجات رئيس

مكتب (الموساد) فى (نيويورك) ، وهو يستقبل (موشى) فى الواحدة صباحًا ، وهتف :

ـ ماذا أصابك يارجل ؟.. إنك تبدو وكــأن حافلــة سحقتك .

رمقه (موشى) بنظرة حانقة ، وتجاهل السؤال تمامًا ، وهو يخلع سترته ، قائلًا :

ـ لقد نجحت (سونيا) فى الفرار .

هتف الرجل :

ـ ماذا ؟!.. ألم تستطع إيقافها ؟

أجابه (موشى) ، وهو يبدل ثيابه :

ـ لقد هربت قبل أن أصل إليها .

قال الرجل فى دهشة :

ـ قبل أن تصل إليها ؟!.. أين كنت إذن ، طوال الوقت الإضافى .

مرة أخرى ، تجاهل (موشى) السؤال ، وهو يسأل :

ـ كيف يمكننا جمع كل المعلومات الممكنة عن (جوان آرثر) ، فى أقصر وقت ممكن ؟

صمت الرجل لحظة مفكرًا ، ثم أجاب :

ـ إنه ليس بالأمر الهين ، ولكنه ليس مستحيلًا فى الوقت ذاته .

قال (موشى) فى صرامة :

ـ ابدأ فى جمع المعلومات إذن ..

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ فليكن .. سأتصل بـ (ميللر) ، وأطلب منه أن يفعل هذا مع شروق الشمس ، و ..

قاطعه (موشى) ، وهو يرتدى ثيابًا نظيفة :

ـ أريد هذه المعلومات عند عودتى ، بعد ساعتين أو ثلاث على الأكثر .

هتف الرجل مستنكرًا :

ـ ساعتين أو ثلاث ؟!.. ألا تدرك صعوبة ما تطلبه ؟

استدار إليه (موشى) ، وقال فى برود مخيف :

ـ ألا تدرك أنت خطورة الموقف الذى نواجهه ؟

وارتدى سترته ، واتجه إلى الباب ، مضيفًا فى حزم :

ـ المعلومات فور عودتى يارجل .

زفر رئيس المكتب فى توتر ، وسأله :

ـ إلى أين ستذهب ؟

أجابه (موشى) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ إلى قصر (سونيا) .. لابد أن أعثر على دليل واحد ، يمكن أن يقودنى إليها .

ثم استدار إليه ، مستطردًا فى حزم :

ـ دليل واحد .
وصفق الباب خلفه فى قوة ..

★ ★ ★

« .. المال ..» .

نطق (أدهم) الكلمة فى اهتمام مباغت، وعقارب الساعة تشير إلى الثانية والنصف صباحًا، فاستدار رفاقه إليه فى تساؤل، وقالت (منى) :
ـ ما الذى يعنيه هذا ؟
استدار إليهم (أدهم)، وقال :
ـ ما الشىء الذى لايمكن أن تتخلَّى عنه (سونيا)، مهما بلغت رغبتها فى الفرار .
فهمت (منى) ما يعنيه على الفور، وهتفت :
ـ نقودها .. ثروتها الطائلة .
أجاب (أدهم) ملوِّحًا بسبَّابته :
ـ تمامًا .. إنها ستعمل جاهدة، على أن تكون ثروتها فى متناول يدها، أينما ذهبت .
سأله (قدرى) :
ـ أتعنى أنها حملتها معها ؟
هزَّ (أدهم) سبَّابته نفيًا، وقال :

ـ لايمكنك حمل عشرات الملايين معك، وأنت تسعى إلى هروب سريع، فمن الواضح أن مهاجمة (موشى) للشركة، هى التى جعلتها تتخذ قرار الفرار بهذه السرعة ..
وفى مثل هذه الظروف، تكون هناك وسائل أكثر سرعة، كالتحويلات البنكية مثلًا .
هتفت (منى) فى حماس :
ـ بالتأكيد، وهذا يعنى أننا لو تتبعنا رصيد (جوان آثر)، فسيقودنا هذا حتمًا إلى (سونيا) .
ابتسم (أدهم)، وهو يقول :
ـ بالضبط .
ارتفع بغتة صوت تصفيق بطىء، فالتفت (أدهم) و (قدرى) و (منى) إلى (حسام)، الذى يصفق فى برود ساخر، وهو يقول :
ـ يا للروعة !.. أسطورة المخابرات لم يعد يكتفى بلعب دور (جيمس بوند)، وقرَّر القيام بدور البطولة، فى مسرحية (شرلوك هولمز) .
انعقد حاجبا (منى) فى غضب، وهى تقول :
ـ (حسام) .. كيف تتحدَّث بهذا الأسلوب ؟
ولكن (أدهم) أشار إليها بالصمت، وقال لـ (حسام) فى هدوء :

ـ ملفك يقول : إنك تلقيت عدة دورات مكثفة للكمبيوتر ... أليس كذلك ؟
أشار (حسام) إلى كمبيوتر حديث، فى ركن الردهة، وقال ساخرًا :
ـ بلى .. ماذا يفعل هذا هنا فى رأيك ؟
تجاهل (أدهم) للمرة العاشرة ذلك الأسلوب الساخر، وقال فى هدوء :
ـ ابحث لنا إذن عن حساب (جوان آرثر) .
بدت ابتسامة مزهوة على وجه (حسام)، وهو ينهض قائلًا :
ـ عظيم .. هذا هو المضمار، الذى لا يفوقنى فيه أحدكم .
وجلس أمام جهاز الكمبيوتر، وضغط أزراره فى حماس، مستطردًا :
ـ فى البداية، علينا أن نبحث عن أرقام هواتف البنوك الكبرى هنا .
تراصت على الشاشة عدة أرقام، و (أدهم) يقول لـ(منى) :
ـ يمكنك أن تحصلى على قسط من النوم الآن يا عزيزتى، فربما نحتاج إلى كل طاقتك فى الصباح .

لم تدر لماذا طلب منها هذا، ولكنها أجابت فى طاعة :
ـ كما تشاء .
واتجهت إلى حجرتها، وأغلقت بابها خلفها، فتنحنح (قدرى)، وقال :
ـ أعتقد أننى أيضًا بحاجة إلى قسط من النوم .
ولم يكد (قدرى) يختفى فى حجرته، حتى اتجه (أدهم) إلى حيث يجلس (حسام)، الذى يقول فى حماس :
ـ هذا البرنامج، الذى لقنونا إياه فى إدارة المخابرات، عظيم للغاية .. إنه يفتح كل الأبواب المغلقة، ويتوصل إلى مفاتيح البرامج السرية بسرعة مدهشة .. لقد فحصت ثلاثة بنوك حتى الآن، ولم أجد أثرًا لحساب باسم (جوان آثر) .
مال (أدهم) نحوه، وقال :
ـ دعك من هذا الآن، فلدى حديث قصير معك .
قال (حسام) فى سخرية :
ـ لماذا أيها القائد الملهم .. ألم تقل إن الأمر عاجل، و...
قاطعه (أدهم) فى حزم :
ـ لقد تجاوزت الحد المسموح به يا (حسام) .
قال (حسام) فى لهجة تنطوى على التحدّى :
ـ حقًا ؟!.. ومن وضع الحد المسموح به ؟".

أجابه (أدهم) فى صرامة :
ـ القواعد المتبعة فى عالمنا ، هى التى وضعت كل الحدود المسموح بها يا (حسام) .
نهض (حسام) فى عناد ، قائلًا :
ـ أنا أعرف هذه القواعد ، وأحفظها عن ظهر قلب ، و ...
فجأة ، جذبه (أدهم) من قميصه فى عنف ، وهو يقول :
ـ هذا بالضبط ما أقصده .. عنادك وحماقتك .. إنك تمزج العمل بمشاعرك الشخصية ، وهذا غير مسموح به قط .
حاول (حسام) أن يقول عبارة عصبية ، ولكن (أدهم) واصل فى صرامة مخيفة ، وعيناه يطل منهما غضب رهيب :
ـ ألا تدرك أهمية الموقف وخطورته ؟.. إنك تعمل من أجل وطنك .. أتفهم ما يعنيه هذا القول ؟!.. يعنى أن تطأ مشاعرك كلها بقدميك ، وتسحقها سحقًا ، لو أنها ستتسبَّب فى إيذاء وطنك ، أو تقليل فرصته فى كسب حرب شعواء ، لا رحمة فيها ولا هوادة .. يعنى أن تصبح أكبر وأقوى من كل المواقف ، التى تواجهك فى أثناء عملك .. يعنى أن تتجرَّد تمامًا من ذاتيتك ، وألا تسمح لمشاعرك بالتصدِّى لك .. ألم تر ما فعله بك غضبك وعنادك ؟.. لقد تحوَّلت بيننا إلى منافس ، بدلًا من أن تصبح عونًا .. أصبحت أقرب إلى العدو ، منك إلى الصديق .. ماذا أصابك ؟.. استيقظ .. اخرج من هذه الغيبوبة المعنوية السخيفة ، وعد إلينا ، وإلا ..

جذبه (أدهم) من قميصه فى عنف ، وهو يقول :
ـ هذا بالضبط ما أقصده ..

واعتدل فى حزم ، وهو يضيف :
ـ وإلا فأسضطر ، بصفتى قائدًا للعملية كلها ، أن أعفيك من هذه المهمة ، بعد أن تحوَّلت فيها إلى نقطة ضعف سخيفة .
انتهى (أدهم) من حديثه ، وظلّ (حسام) يتطلَّع إليه لحظة فى صمت ، ثم قال وهو يشيح بوجهه :
ـ هل يمكننى إتمام عملى ؟
تركه (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :
ـ بالطبع .. إنه بالغ الأهمية ، كما سبق أن أخبرتك .
عاد (حسام) يجلس أمام الكمبيوتر ، وعادت أصابعه تتنقَّل فوق أزراره بسرعة وحزم ، وعيناه تراجعان كل ما تراص أمامه على الشاشة ، و (أدهم) يراقبه فى اهتمام ، حتى قال (حسام) فجأة ، فى ارتياح وظفر واضحين :
ـ ها هو ذا .
قرأ (أدهم) على الشاشة فى وضوح اسم (جوان آثر) ، ولكن العبارة التى تراصت أسفله ، كانت تقول :
ـ تم إغلاق الحساب نهائيًا .
وهتف (حسام) :
ـ اللعنة !.. لقد أغلقت حسابها نهائيًا ، فتم محو كل العمليات السابقة تلقائيًا .

قال (أدهم) فى اهتمام :
ـ ولكن هذا يعنى أنها حوَّلت رصيدها كله إلى مكان آخر ، واسم آخر على الأرجح .. لقد أعدَّت منزلًا آمنًا احتياطيًا .. إنها قاعدة أخرى معروفة ، فى عالـم المخابرات .
مطَّ (حسام) حاجبيه ، وقال :
ـ ولكن كيف نعرف هذه التفاصيل ؟
اعتدل (أدهم) ، وهو يقول :
ـ من البنك نفسه .
قال (حسام) :
ـ كيف ؟!.. لقد فحصنا سجلاته كما ترى .
ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :
ـ السجلات يمكن محوها ، أما العقول فلا .
رفع (حسام) حاجبيه ، ثم ابتسم قائلًا :
ـ فهمت .
قال (أدهم) ، وهو يخرج حقيبة أدوات التنكر :
ـ ابحث عن اسم وعنوان مدير البنك ، فسأذهب إليه فى زيارة عاجلة .
سأله (حسام) :
ـ الآن ؟

ابتسم (أدهم) ، قائلًا :
ـ أخبرتك أنها عاجلة .
راقبه (حسام) وهو يبدل ملامحه ، ثم نقل اسم وعنوان مدير البنك إلى ورقة صغيرة ، ناولها له ، وتردّد لحظة ، قبل أن يهمس :
ـ أنا أعتذر عما بدر منى ... لست أدرى لماذا ..
قاطعه (أدهم) بابتسامة عذبة ودود :
ـ كلنا نتعرّض للضغوط يا صديقى .
ثم نهض ، والتقط الورقة منه ، مستطردًا :
ـ أتعلم أنك موهوب فى مجال الكمبيوتر هذا .. كم يسعدنى أن نعمل معًا .
تطلّع إليه (حسام) ، وأدرك ما يرمى إليه ، فقال فى خفوت :
ـ أنت أيضًا بارع يا سيادة العقيد .. كلنا نعلم ما فعلته مع (سيمولاتور) فى (تل أبيب)(*) .
ربّت (أدهم) على كتفه ، وهو يبتسم ، ثم قال :
ـ إلى اللقاء يا صديقى ، حاول أن تحصل أنت أيضًا على قسط من النوم ، فربما كان أمامنا عمل عنيف فى الغد .

(*) راجع قصة (أرض العدو) .. المغامرة رقم (٩٣) .

راقبه (حسام) حتى غادر المنزل ، ثم خفض عينيه ، مغمغمًا :
ـ إلى اللقاء أيها القائد .
وصمت لحظة ، ثم أضاف فى همس :
ـ أيها الأسطورة .
واتجه إلى حجرته ..

* * *

قطعت سيارة (كاديلاك) عتيقة الطراز شوارع (لوس أنجلوس) ، فى الرابعة صباحًا ، يقودها شاب برونزى البشرة ، وسيم الملامح ، كثيف الشعر أسوده ، يرتدى قميصًا مفتوح الصدر ، زاهى الألوان ، وسلسلة ذهبية كبيرة ، وسروالًا أبيض ضيقًا ، وتوحى ملامحه كلها بأنه أحد أبناء (أمريكا الجنوبية) ، وتوقفت السيارة أمام فيلا أنيقة ، تطل على ساحل (لوس أنجلوس) ، وقفز منها الشاب فى رشاقة ، وهو يسأل حارس الفيلا الخاص :
ـ أهنا تقيم (سوزان سميث) ؟
رمقه الحارس بنظرة طويلة ، قبل أن يسأله :
ـ وفيم تريد مسز (سميث) ؟
لوّح الشاب بكفه ، وهو يقول :
ـ قل : فيم تريدنى مسز (سميث) ؟ فهى التى طلبت حضورى .

قال الحارس مستنكرًا :
ـ فى هذه الساعة ؟!
هزّ الشاب كتفيه فى استهتار ، وقال :
ـ قالت : إنه ينبغى أن أحضر إليها ، فور عودتى إلى المنزل ، وأنا لا أعود عادة ، قبل الثالثة والنصف صباحًا .
مطّ الحارس شفتيه ، وقال ، وهو يلتقط جهاز الاتصال الداخلى :
ـ حسن .. دعنى أسألها .
وأدنى الجهاز من فمه ، مستطردًا :
ـ مسز (سميث) .. هناك شاب يطلب مقابلتك الآن ، واسمه ..
تطلّع إلى الشاب متسائلًا ، فأجابه بسرعة :
ـ (كابانا) .
نقل إليها الحارس الاسم ، ثم رفع عينيه إلى الشاب ، قائلًا :
ـ أى اسم هذا ؟
لوّح الشاب بكفه ، قائلًا :
ـ اسم متميز .
وسمع صوت (سونيا) تقول :
ـ دعه يدخل على الفور .

ولم تمض لحظات ، حتى كان (كابانا) يقف أمام (سونيا) ، ويسألها وهو يتطلّع فى انبهار إلى جمالها الفتّان :
ـ تُرى ماذا تريد فاتنة مثلك من شاب مثلى ؟
أجابته (سونيا) فى هدوء :
ـ بل قل ما الذى يمكن أن أمنحك إياه ؟
تطلّع إليها (كابانا) فى تساؤل حذر ، فاستطردت وهى تشعل سيجارتها ، وتنفث دخانها فى عمق :
ـ هل سبق لك أن ربحت عشرة آلاف دولار فى الشهر الواحد ؟
حدّق فى وجهها بضع لحظات ، فى انبهار تام ، ثم لم يلبث أن حاول التظاهر باللامبالاة ، وهو يداعب السلسلة الذهبية ، المتدلية من عنقه ، قائلًا :
ـ آه .. كثيرًا .. أنا رجل شهير هنا ، و ...
قاطعته وهى تلتقط ملفًا صغيرًا ، وتقرأ منه قائلة :
ـ (لوبو كابانا) .. راقص مغمور ، ومغنى فاشل ، وموزّع مخدرات تافه .. من مواليد (ريودى جانيرو) ، وهاجرت بدون أوراق رسمية ، إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأكبر دخل حصلت عليه ، هو ألفى دولار شهريًا ، ولمدة شهر واحد .

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :
ـ هل تتجسّسين علىّ ؟
ـ ومن يرغب فى التجسّس على عبقرى فى الفشل مثلك ؟
تفجّر الغضب فى وجهه ، واندفع نحوها ، صارخًا :
ـ أيتها الحقيرة .
هوت يده على وجهها ، ولكنها التقطتها بخفة وسرعة ، وأدارت معصمه بحركة ماهرة ، فوجد نفسه يطير فى الهواء ، ويدور حول نفسه ، ثم يرتطم بالأرض فى قوة ، فتأوّه هاتفًا :
ـ كيف تجرؤين ؟
جذبته (سونيا) من شعره ، ولطمته على وجهه ، وهى تقول :
ـ تحدّث بلهجة مهذّبة ، فى حضرة النساء .
ثم دفعته جانبًا فى ازدراء ، وهى تستطرد :
ـ ألم تفهم أيها الغبى ؟!.. أنا أمنحك فرصة نادرة فى أن تصبح شيئًا محترمًا هنا ... هل ترفض عشرة آلاف دولار شهريًا .
نهض وهو يقول فى حدة :
ـ ولماذا تدفعين مثل هذا المبلغ لتافه وفاشل مثلى؟

ابتسمت وهى تنفث دخان سيجارتها ، قائلة :
ـ لأنك تمتلك صفة ، أميل إليها كثيرًا فى طرازك ، وهى أنك مستعد لفعل أى شىء ، من أجل المال .
نفض غبارًا وهميًا عن سرواله ، وهو يسألها :
ـ أى شىء مثل ماذا ؟
هزّت كتفيها ، قائلة :
ـ القتل مثلًا .
نطقت كلمتها ، وتطلّعت إليه فى صمت ، فلاذ به بدوره بضع لحظات ، ثم سألها :
ـ ماذا تريدين بالضبط ؟
ابتسمت فى ظفر ، وقالت :
ـ إننى هنا بصفة مؤقتة ، والمفروض أن قلائل هم من يعلمون بوجودى ، وعلى الرغم من هذا ، فأنا أتوقّع وصول بعض الأفراد ، الذين قد يسعون خلفى .. وأنا أكره أن يدس أحدهم أنفه فى شئونى .
سألها :
ـ هل ترغبين فى التخلّص منهم ؟
أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :
ـ فور وصولهم .
ثم نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، وسألته :

ـ هل توافق على القيام بالمهمة ؟
أجاب على الفور :
ـ من أجل عشرة آلاف دولار ، أنا مستعد للسفر إلى (الفاتيكان) نفسه ، لقتل (البابا)(★) .
قالت فى ارتياح :
ـ عظيم .. اجمع بعض الرجال ، وامنحهم مكافآت سخية ، وانتظروا وصول هؤلاء .
ووضعت أمامه عددًا من الصور ، لـ (أدهم) ، و (منى) ، و (قدرى) ، و (حسام) ..
باختصار .. كانت تستهدف الفريق ..
الفريق كله .

★ ★ ★

(★) الفاتيكان : محل إقامة (البابا) فى (روما) ، وهى مدينة ، تبلغ مساحتها حوالى مائة وعشرة أفدنة ، وتعداد سكانها حوالى ألف نسمة ، وتضم كاتدرائية القديس (بطرس) ، والقصور ، والمكاتب ، وعددًا من المتاحف العظيمة ، والكنائس الرائعة ، ومكتبة من أقدم المكتبات وأنفسها ، تحوى خمسين ألف مخطوط ، وأربعمائة ألف مطبوعة نادرة ، و (البابا) هو حاكم مدينة (الفاتيكان) ، وقلب الكاثوليكية النابض .

١١ ـ لوس أنجلوس ..

استيقظ (كيفين) مدير البنك ، فى قلق شديد ، مع رنين جرس منزله ، فى الرابعة صباحًا ، وسألته زوجته فى هلع :
ـ ماذا هناك ؟.. أهو لص ؟
أجابها فى عصبية :
ـ اللصوص لا تقرع الأبواب ، ولا تدق الأجراس .
ثم ارتدى معطفه المنزلى ، واستطرد :
ـ انتظرى هنا ، وسأرى من الطارق .. لا ريب أنه أمر عاجل .
كان يحاول طمأنتها ، على الرغم من التوتر الشديد ، الذى يملأ كيانه كله ، وهو يتجه إلى باب منزله ، قائلًا :
ـ من الطارق ؟
ـ أتاه صوت هادئ ، يقول :
ـ المفتش (أدموند) .. من الشرطة الفيدرالية .
فتح (كيفين) الباب فى حذر ، وتطلّع إلى وجه (أدهم) ، الذى تحوّل إلى رجل فى الخمسين من عمره ، أشيب الشعر

والشارب ، وقال مبـرزًا شارة الشرطـة الفيدراليـة الأمريكية ، التى صنعها (قدرى) بمهارة مذهلة :

ـ هل تسمح لى بالدخول ؟

أفسح له (كيفين) الطريق ، قائلًا فى قلق :

ـ تفضّل .. ولكن ما صلة الشرطة الفيدرالية بى ؟

دلف (أدهم) إلى الشقة ، وسأله فى صرامة :

ـ ألديك عميلة باسم (جوان آرثر) ؟

قال (كيفين) ، وقد تضاعف قلقه :

ـ نعم .. ماذا أصابها ؟

تجاهل (أدهم) السؤال ، وهو يقول :

ـ هل حوّلت رصيدها مؤخرًا إلى جهة أخرى ، وباسم آخر ؟

تطلّع إليه (كيفين) فى دهشة ، قبل أن يقول :

ـ لا يمكننى إجابة سؤالك هذا ، فالدستور يمنحنى حق الحفاظ على أسرار العملاء .

عقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة ، قائلًا :

ـ حتى ولو كان هؤلاء العملاء ضمن تنظيم شيوعى جديد ، يخطّط لنسف مجلس الشيوخ ، واغتيال الرئيس ؟

هتف (كيفين) فى ارتياع :

ـ يا إلهى !.. ولماذا كل هذا ؟

لوّح (أدهم) بكفه ، وقال :

ـ يحاولون تحويل بلادنا الحرة إلى الشيوعية .. سيحددون الملكية ، ويؤممون البنوك ، و ...

لم يكد (كيفين) يسمع أمر تأميم البنوك ، حتى شهق هاتفًا :

ـ ياللملاعين .

مال (أدهم) نحوه ، وقال فى حماس :

ـ لهذا فنحن نبذل قصارى جهدنا للبحث عنهم ، وإلقاء القبض عليهم ، قبل أن ينجحوا فى تنفيذ مخططهم .. هل تعلم أن (جوان آرثر) هربت ؟.. إنه ليس اسمها الحقيقى بالطبع .. ولكن أنت وحدك يمكن أن ترشدنا إليها ، وتمنع ذلك المخطط الأثيم .

ووضع يده على كتف (كيفين) ، مستطردًا :

ـ أنت البطل هذه المرة يا رجل .

امتزج الخوف بالزهو ، فى أعماق (كيفين) ، ولكنه قال فى قلق :

ـ ولكنها أسرار عمل ، والقانون يعاقبنى بشدة ، على الإفصاح عنها .

قال (أدهم) :

ـ ومن قال : إنك أفصحت عن شىء ؟.. هذا أمر بينى

وبينك يا رجل .. أنت لم تقل شيئًا ، من الناحية الرسمية ، وأنا لم أسمع منك حرفًا واحدًا .. هل سنجعل القواعد تحطم عالمنا الحر ؟

هتف (كيفين) :

ـ مستحيل !

ثم أمسك يد (أدهم) فى حزم ، وهو يستطرد فى حماس :

ـ لقد حوّلت رصيدها كلـه إلـى بنك فى (لوس أنجلوس) ، باسم (سوزان سميث) ..أتحب أن تعرف قيمة الرصيد .

لوّح (أدهم) بكفه ، وقال :

ـ لا .. هذا لا يصنع فارقًا فى عملنا .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـ أهنئك يا مستر (كيفين) .. ستحصل على وسام البطولة حتمًا .

وعندما انصرف (أدهم) ، ترك خلفه (كيفين) ، يحلم بوسام البطولة ، فى حين كان الانفعال يملأ كيانه هو .

لقد اقترب من الهدف مرة أخرى ..

اقترب بشدة ..

★ ★ ★

لم تكد شمس اليوم التالى تظهر فى السماء ، حتى كان (أدهم) و (حسام) ، و (منى) و (قدرى) داخل الطائرة ، التى تنقلهم إلى (لوس أنجلوس) ، وكان (قدرى) يقول فى سعادة :

ـ لقد تحققت أمنيتى يا رفاق .. أصبحت عضوًا فى أوّل فريق عمل يقوده (أدهم صبرى) .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا صديقى العزيز .. أنت أكبر أفراد الفريق .

أضاف (حسام) بسرعة :

ـ حجمًا .

قهقه (قدرى) ضاحكًا فى مرح ، وارتجّ جسده البدين كله مع ضحكاته ، والتفت إليه نصف ركاب الطائرة فى دهشة واستنكار ، ولكنه لم يبال بكل هذا ، وهو يقول :

ـ المهم أننى فى موقع متميّز .

قالت (منى) مبتسمة :

ـ أنت دائمًا فى موقع متميّز يا (قدرى) .. إننـا لا نستطيع أبدًا الاستغناء عن أصابعك الذهبية هذه .

رفع (قدرى) يده اليمنى أمام وجهه ، وحرّك أصابعها ، هاتفًا فى دهشة مصطنعة ؟

ـ أصابع ذهبية ؟!.. أتعنين أننى أستطيع افتتاح متجر فى صاغة الذهب ، بهذه الأصابع ؟

ضحك الجميع فى مرح ، والتفت إليهم ركاب الطائرة مرة أخرى ، وبعضهم يغمغم فى ضيق :

ـ لا ريب أنهم بعض الأثرياء العاطلين ، الذين يقضون حياتهم فى السفر والترحال ، دون متاعب أو هموم ..

وكان من العسير بالفعل ، أن يصدِّق شخص واحد ، أن هذه المجموعة المرحة تنطلق إلى (لوس أنجلوس) ، فى مهمة بالغة الأهمية والخطورة .

مهمة قد تعنى حياتهم نفسها ..

أو حياة العالم كله ..

ولكن من يتصوَّر هذا .

من يمكنه حتى أن يتخيَّل ..

كان ثلاثة منهم قد أبدلوا ملامحهم ، لتتوافق مع الصور ، التى تحملها جوازات سفرهم الإسرائيلية الدبلوماسية المزوَّرة ، أما (قدرى) ، فبقى على هيئته ، مبرِّرًا ذلك بضحكة مرحة ، وهو يقول :

ـ أنتم تحتاجون إلى النظر لوجوهكم ، أما أنا ، فجسدى الممشوق الفاره ، هو سمتى المميَّزة .

سأله (حسام) مبتسمًا :

ـ ولكن لماذا اخترت جوازات سفر إسرائيلية بالذات ؟

هزَّ (قدرى) كتفيه ، وقال :

ـ إنه مجرَّد تدريب ، لأعمال انتحارية قادمة .

وعاد يقهقه بضحكة مجلجلة ، أثارت الركاب للمرة العاشرة على الأقل ..

وفى (لوس أنجلوس) ، وقفوا جميعًا فى ساحة الانتظار بالمطار ، وقال (أدهم) :

ـ لست أعتقد أن (سونيا) ستتخذ هذه المرة ، شخصية اجتماعية أو معروفة ؛ لذا فالبحث عنها لن يكون سهلًا .. سننقسم إلى ثلاث فرق ، كل فرقة من شخص واحد ، ونقسم المدينة إلى ثلاثة أقسام .

قال (قدرى)محتجًا .

ـ ولكننا أربعة !

أجابه (أدهم) :

ـ دورك هو أن تجد لنا منزلًا مناسبًا ، فلسنا ندرى كم من الوقت نبقى هنا ، ثم إنه من اليسير مراقبة الفنادق .

قال (قدرى) :

ـ وكيف أبلغكم بالأمر ؟

أجابه (أدهم) :

ـ سنلتقى كلنا هنا ، فى السادسة مساءً ، وسنذهب معًا إلى المنزل الآمن الجديد .

ثم استدار إلى رفاقه ، قائلًا :

ـ والآن ، دعونا ندرس خطة البحث .

رفع (قدرى) يده ، وقال :

ـ مادمت لست أحد أعضاء فرق البحث ، فاسمحوا لى باستغلال وقت مناقشاتكم ، فى شراء شطيرة طازجة ، فما زلت أشعر بالجوع الشديد ، بعد طعام الطائرةالهزيل .

ابتسم (حسام) ، وقال :

ـ فليكن .. نحن فى انتظارك .

غادرهم متجهًا إلى (كافيتريا) قريبة ، وهو يتمتم :

ـ اللعنة !.. لماذا يصرّ (أدهم) دائمًا على إبعادى عن مواطن الخطر .

قالها ونسى غضبه ، فى اللحظة التالية مباشرة ، وسار وجسده الضخم يتدحرج فى بطء ، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ..

وعلى بعد ثلاثة أمتار منه ، أمسك أحد رجال العصابات ذراع زميله فى قوة ، قائلًا :

ـ انظر .. ها هو ذا البدين ، الذى يوزِّع (كابانا) صورته .

هتف الثانى فى حماس :

ـ بالتأكيد . المكافأة من نصيبنا نحن يا رجل .

فرك الأوَّل كفيه فى سعادة ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، قائلًا :

ـ ولكن كيف نحمله ، لو أفقدناه وعيه ؟.. إنه ضخم للغاية .

راحا يفكران فى اهتمام ، ثم هتف الثانى :

ـ وجدت وسيلة عبقرية .

وانطلق إلى أقرب هاتف ، وطلب رقمًا قصيرًا ، وقال متباكيًا :

ـ آه .. الإسعاف .. أسرعوا أيها السادة .. عمى فقد وعيه فى المطار .. أحضروا شيئًا قويًا .. إنه بدين للغاية .. نعم .. نعم .. أنا فى انتظاركم .

وأنهى المحادثة ، وهو يلتفت إلى زميله ، قائلًا بابتسامة كبيرة :

ـ لقد أحضرت الحمالين ، ووسيلة النقل ... سيصلون بعد خمس دقائق .

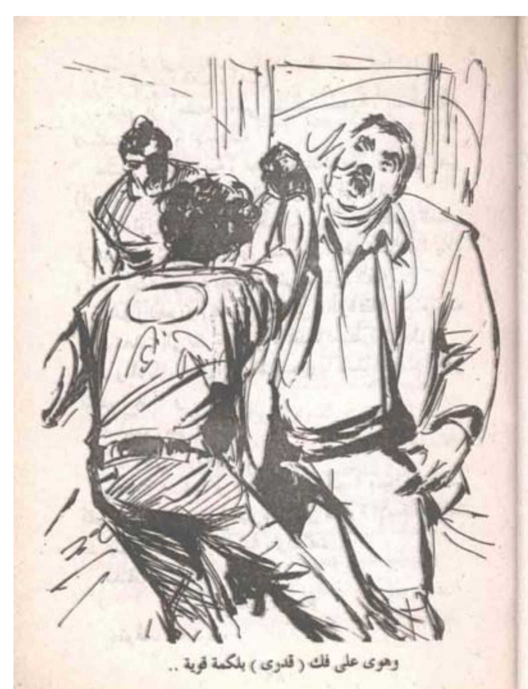
فرك الأوَّل كفيه مرة ثانية ، وقال :

ـ رائع .. دعنا نُنْهِ المهمة إذن .

وتحرَّكا نحو (قدرى) ، ويلقاه قبل لحظة من دخوله إلى (الكافيتريا) ، واستوقفه أحدهم ، قائلًا فى سخرية :

ـ قل لى أيها الفيل : متى نجحت فى الفرار من حديقة الحيوان ؟

مال قدرى عليه ، وأجابه فى هدوء :
ـ سل والدك .. هو الذى أعدّ خطة الفرار مع إخوته ، فى حظيرة الكلاب .
ارتفع حاجبا الرجل فى دهشة أولًا ، ثم انعقدا فى غضب هادر ، وهو يصرخ :
ـ أيها الحقير .
وهوى على فك (قدرى) بلكمة قوية ، فدفعه (قدرى) بعيدًا عنه ، وهو يقول :
ـ لست أهوى المشاجرات .
ولكن الثانى باغته من الخلف ، وهوى على مؤخرة عنقه بكعب مسدسه :
كانت الضربة عنيفة للغاية ، فدار رأس (قدرى) بشدة ، ثم هوى بجسده البدين أرضًا ..
وفى نفس اللحظة ، التى اعتدل فيها الرجل ، الذى ضرب (قدرى) ، ارتفع صوت بوق الإسعاف ، ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان أربعة من رجال الإسعاف يتعاونون ، لنقل (قدرى) إلى محفة كبيرة ، ثم إلى السيارة ، التى انطلقت على الفور ، وداخلها رجل العصابات ، يبكى بتمثيل متقن ، مرددًا :
ـ وا عماه !.. أسرعوا أيها السادة .. أسرعوا لننقذه .



وهوى على فك (قدرى) بلكمة قوية ..

وفى الساحة قالت ، (منى) :
ـ يبدو أن أحدهم يعانى متاعب صحية ، اضطرتهم لاستدعاء سيارة الإسعاف .
قالتها بالإنجليزية ، كما اعتادت منذ وصلت إلى (أمريكا) ، فقال رجل مار إلى جوارها فى توتر :
ـ يقولون : إنه أصيب بغيبوبة مرضية ، لنقص السكر فى دمه ، ولكن هذا ليس صحيحًا .. لقد تحرَّشوا به ، وأفقده أحدهم وعيه بضربة على مؤخرة العنق .
تبادل (أدهم) و (حسام) و (منى) نظرة قلقة ، ثم لم تلبث أن استحالت إلى نظرة ارتياع ، عندما استطرد الرجل :
ـ ولقد بذل رجال الإسعاف مجهودًا ضخمًا لحمله ، فهو ضخم الجثة ، و ..
صاحت (منى) :
ـ يا إلهى !.. (قدرى) .
وتحرَّك (أدهم) و (حسام) ، وكأنهما سيعدوان على أقدامهما ، بحثًا عن السيارة ، ولكن سيارة الإسعاف كانت قد ابتعدت بسرعة مدهشة ، واختفت ..
اختفت تمامًا ..

* * *

«توقَّف هنا ..» .

قالها أحد رجلى العصابات ، لسائق سيارة الإسعاف ، عبر النافذة الضيقة ، التى توصل كابينة القيادة بمنطقة المرضى الخلفية ، فعقد السائق حاجبيه ، وقال :
ـ أتوقَّف هنا ؟!.. ما الذى تعنيه يا رجل ؟.. المستشفى ليس ..
قبل أن يتم عبارته ، فوجئ بفوهة مسدس فى أذنه ، والرجل يكرِّر فى صرامة :
ـ توقَّف هنا .
ضغط السائق فرامل الإسعاف فى قوة ، وهتف :
ـ ولكن لماذا ؟
أجابه فى صرامة :
ـ ليس هذا من شأنك .
ثم قفز خارج السيارة ، وقال لرجال الإسعاف فى خشونة :
ـ هيا .. ساعدونى لحمل عمى إلى الخارج .
سألوه فى دهشة :
ـ لماذا ؟.. هل ستتركه على قارعة الطريق ؟
ولم يكد تساؤلهم ينتهى ، حتى ظهرت سيارة أخرى كبيرة ، برز من نافذتها وجه رجل العصابات الآخر وهو يقول لزميله :

ـ كيف حالك يا هذا ؟
لوّح الأوّل بمسدسه ، وقال :
ـ هيا .. انقلوه إلى المقعد الخلفى لهذه السيارة .
أسرع الرجال ينفذون ما طلبه ، فانطلق مع زميله بالسيارة ، التى تحمل (قدرى) الفاقد الوعى ، وهو يقول :
ـ إلى اللقاء أيها السادة .. المفروض أن تشكرونى ؛ لأننى أخفّف عنكم أعمالكم .
وأطلق ضحكة طويلة ممطوطة ، والسيارة تبتعد عنهم فى سرعة ، فتبادل رجال الإسعاف نظرة حائرة ، ثم قال أحدهم :
ـ كيف نكتب هذا فى تقريرنا ؟
هتف به السائق :
ـ أى تقرير ؟.. لقد ذهبنا إلى المطار ، ولم نجد أحدًا .. هيا يا رجال .. لن نضيع عمرنا كله فى تحقيقات وأقوال مملة .. هيا .
أما (قدرى) ، فقد رقد فى غيبوبة عميقة ، لم يدر كم استغرقت بالضبط ، ولكنه استعاد وعيه بغتة ، وهتف :
ـ أين أنا ؟!.. ماذا حدث ؟
حاول أن يرفع يده ليتحسّس موضع الألم فى عنقه ، ولكنه فوجئ بنفسه مقيدًا فى إحكام إلى مقعد ثقيل ضخم ،

وأمامه شاب رقيع ، ابتسم فى استهتار ، وهو يقول ساخرًا :
ـ هل استعدت وعيك أيها البدين ؟!.. هل تعلم كم جشمتنا من تعب وجهد ، لننقلك إلى هذا المكان ؟
أدار (قدرى) عينيه فى المكان ، الذى بدا أشبه بقبو حقير ، وقال :
ـ كان الأفضل أن تتركنى .
أطلق (كابانا) ضحكة ساخرة ، وقال :
ـ لو أن الأمر بيدى لفعلت .
ثم مال نحو (قدرى) ، مستطردًا فى سخرية :
ـ ولكن يبدو أنك تمثل أهمية بالغة للزعيمة :
تطلّع إليه (قدرى) ، مرددًا :
ـ الزعيمة ؟!.. أية زعيمة .
لم يكد يتم قوله ، حتى أتاه صوت أنثوى ساخر يقول :
ـ مرحبًا يا (قدرى) .. مضت فترة طويلة للغاية ، منذ التقينا آخر مرة .
استدار (قدرى) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وهتف :
ـ (سونيا) .
اقتربت منه (سونيا جراهام) ، قائلة :

ـ نعم يا (قدرى) .. أنا (سونيا) لن يمكنك أن تتصوّر أهمية وجودك هنا الآن .. إنه يعنى أن (أدهم) قد توصل إلى مكانى بشكل أو آخر .. ولكن هذا لم يعد يهم .. لقد أصبحت فى قبضتى يا (قدرى) ، ولن يضحى بك (أدهم) قط .. أنت تعرف طبيعته ومشاعره المرهفة تجـاه الأصدقاء .
قال (قدرى) فى حدة :
ـ وهو ما تعتبرينه ضربًا من الحماقة ؟
نفثت دخان سيجارتها ، وهى تقول :
ـ بل هو الحماقة نفسها يا عزيزى .. وسترى بنفسك من يربح فى النهاية .. أنا بأسلوبى هذا ، أم صديقك الشهم العذب .
قال (قدرى) ساخرًا :
ـ لقد رأيت هذا كثيرًا .
عقدت حاجبيها فى صرامة ، وقالت :
ـ هكذا ؟.. كم تسعدنى روحك المرحة هذه .. إنك تستحق مكافأة بالتأكيد .
ثم استدارت إلى (كابانا) ، قائلة :
ـ أحضر مطرقة كبيرة .
هتف (كابانا) :

ـ على الرحب والسعة يا مولاتى .
سألها (قدرى) فى قلق :
ـ ما الذى تنوين فعله بالضبط ؟
ابتسمت فى شراسة ، وهى تقول :
ـ دعنى أفاجئك .
لم تكد تتم قولها ، حتى ارتفع رنين هاتف صغير ، معلّق إلى جوارها ، فالتقطت سمّاعته بسرعة ، وقالت :
ـ من المتحدث ؟
أتاها صوت (ألكسى ميلانوفيتش) ، وهو يقول :
ـ أخيرًا ، عثرت عليك يا سيّدتى .. لقد حاولت الاتصال برقم (نيويورك) ، ولكن أحد رجال الشرطة أخبرنى أنك اختفيت فى ظروف غامضة ، فأدرت رقم (لوس أنجلوس) الاحتياطى على الفور ، و ..
قاطعته فى توتر :
ـ ما الأخبار يا (ألكسى) ؟
أجابها فى سعادة :
ـ كل شىء تمّ على ما يرام يا سيّدتى .. الشحنات وصلت فى موعدها ، بطائرات شحن خاصة ، وتم الإفراج عنها جمركيًا فى دقائق ، لأننا أعددنا كل الأوراق والموافقات اللازمة ، ودفعنا رشاوى ضخمة ، والرءوس الآن فى كل

الأماكن المتفق عليها ، والمعدّة مسبقًا ، فى (واشنطن) ، و (موسكو) ، و (لندن) ، و (باريس) و (القاهرة) .. وكل منها يتصل بجهاز استقبال خاص ، عن طريق الأقمار الصناعية ، ولديك لوحة الأزرار فى قلعتك ، فى جزيرة (هيل) .. يكفى أن تضغطى زرًا منها ، فتمحى عاصمة كبرى من الوجود .

ارتجف جسدها كله من فرط الانفعال ، وهى تقول :

ـ عظيم يا (ألكسى) .. عظيم .. سأنهى بعض الأعمال العاجلة هنا ، وأنطلق فورًا إلى (هيل) .. سأستقر فى قلعتى هناك ، استعدادًا للضربة القاصمة .

سألها (ألكسى) فى شغف :

ـ هل ألحق بك هناك ؟

أجابته :

ـ لا بأس .. استقل طائرتك إلى (لوس أنجلوس) ، وستجد طائرتى الخاصة فى انتظارك هنا ، لتحملك إلى (هيل) .

هتف (ألكسى) فى حماس :

ـ سأحضر على الفور يا سيدتى .

أنهت (سونيا) المحادثة ، وأغلقت عينيها فى قوة ، لتهضم انفعالها الجارف ..

لقد صارت قيد خطوة واحدة ، من ذلك الهدف ، الذى عاشت من أجله طويلًا ..

من لحظة الانتصار على العالم أجمع ..

والسيطرة عليه ..

وفى حذر ، سألها (قدرى) :

ـ أهى أخبار سارة إلى هذا الحد ؟

فتحت عينيها ، وقالت فى هيام عجيب :

ـ بل هى أعظم مما تتصوَّر .

والتقطت نفسًا عميقًا لتكتم انفعالها ، ثم ألقت سيجارتها ، قائلة :

ـ معذرة يا عزيزى (قدرى) .. سأضطر لتركك الآن .. ولا يهمنى ما يفعله (أدهم) للبحث عنى وعنك ، فبعد ساعات قليلة ، سأصبح داخل مركز التحكّم فى العالم أجمع .

ثم ابتسمت فى شراسة ، مستطردة :

ـ واطمئن يا عزيزى .. لن أقتلك .. ليس من السهل أن يقتل المرء صديقًا عزيزًا ... ولكننى فى الواقع شديدة الإعجاب بعقبريتك ، ومهارتك المذهلة فى عالم التزييف

والتزوير ، حتى أننى أطلقت النار على يدك الساحرة هذه ذات مرة .. هل تذكر هذا(★) ؟

قال فى توتر :

ـ وكيف أنساه ؟

لوَّحت بكفها ، وأشارت إلى (كابانا) ، الذى عاد حاملًا المطرقة الضخمة ، وهى تقول :

ـ فى هذه المرة ، سأتبع أسلوبًا مختلفًا .

وانعقد حاجباها فى شدة ، مستطردة :

حطم يده اليمنى يا (كابانا) .

تهللت أسارير (كابانا) فى جذل وحشى ، واتجه إلى حيث يجلس (قدرى) ، ورفع المطرقة ، قائلًا :

ـ أمرك يا مولاتى .

صرخ (قدرى) :

ـ لا .. ليس يدى .

ولكن (كابانا) هوى بالمطرقة بلا تردد ..

وبلا رحمة .

★ ★ ★

(★) راجع قصة (الرصاصة الذهبية) .. المغامرة رقم (٤٧)

١٢ ـ خطة البحث ..

اقتحم (أدهم) مبنى دائرة الإسعاف فى عنف ، وهو يقول :

ـ ما رقم السيارة ، التى استجابت لنداء من المطار ، منذ نصف الساعة تقريبًا .

تبادل الرجال نظرة متوترة ، ثم قال أحدهم فى حدة :

ـ وما شأنك أنت ياهذا ؟

أبرز (أدهم) شارة الشرطة الفيدرالية ، وهو يقول :

ـ إنه سؤال رسمى يا رجل .

عاد الرجال يتبادلون نظرة متوترة ، ثم قال أحدهم فى توتر :

ـ اسمع يا رجل .. نحن نعرف حقوقنا جيدًا .. لا يمكنك أن تجبرنا على الإدلاء بأية معلومات ، إلا فى وجود محام .

قال (أدهم) فى غضب :

ـ دع هذه المحاضرة القانونية لوقت آخر ، فالأمر غاية فى الخطورة ، وأنا أريد هذه المعلومات بشدة .

مالت (منى) على أذن (حسام) ، وقالت فى عصبية :
ـ لماذا يحاولون إخفاء الأمر ؟.. ماذا حدث ؟
أجابها (حسام) فى حزم :
ـ هناك احتمالان ، لا ثالث لهما .. إما أن سيارة الإسعاف كانت زائفة ، أو ..
صمت بغتة ، فسألته فى لهفة :
ـ أو ماذا ؟
ظلّ صامتًا لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :
ـ أو أن القائد لا يوجّه إليهم السؤال بالطريقة الصحيحة .
سألته فى دهشة :
ـ وما الطريقة الصحيحة ؟
ابتسم وهو يتجه نحو (أدهم) ، مغمغمًا :
ـ اتبعينى ، وسترينها .
فى هذه اللحظة ، كان (أدهم) يقول للعمال فى صرامة :
ـ إذن فأنتم ترفضون الإجابة عن سؤال رسمى .
هتف أحدهم :
ـ اذهب إلى الجحيم .
وانفجر مع زملائه ضاحكين ، فانقبضت أصابع (أدهم) فى غضب ، وهمّ بقول شئ ما ، عندما تدخّل (حسام) فجأة ، قائلا :

ـ هذا ما أطلق عليه اسم (سوء استغلال الحقوق) أيها السادة .
التفتوا إليه فى سخرية واستهتار ، وقال أحدهم :
ـ وماذا فى هذا ؟.. إننا ..
قبل أن يتمّ عبارته ، كان (حسام) قد انتزعه من مكانه ، وحطّم أنفه بلكمة عنيفة ، ثم هوى بأخرى على فكه ، وثالثة على معدته ، قبل أن يقول :
ـ ماذا قلت أيها الوغد ؟.. لم أسمعك جيدًا .
عقد (أدهم) حاجبيه فى غضب شديد ، وتشبّثت (منى) بذراعه فى دهشة ، فى حين اندفع الرجال نحو (حسام) ، صائحين :
ـ كيف تجرؤ ؟
هوى (حسام) على فك أقربهم إليه بلكمة كالقنبلة ، ثم انتزع مسدسه ، وصوّبه إليهم ، صائحًا فى غضب :
ـ هيّا .. اقتربوا ليصبح إطلاق النار قانونيًا .
ارتبك الرجال واضطربوا ، أمام الفوهة المصوّبة إليهم ، وتراجع أحدهم مشيرًا إلى آخر ، وهو يقول :
ـ هاهو ذا السائق .
ابتسم (حسام) فى ظفر ، فى حين التفت (أدهم) إلى السائق ، وسأله :

ـ أين ذهبت بالرجل ، الذى حملته من المطار ؟
أجابه الرجل مرتجفًا :
ـ لقد هدّدونا بمسدس ، وأجبرونا على نقله إلى سيارة أخرى .. كنا مضطرين .. أقسم لك .
سأله (أدهم) :
ـ وهل حصلت على رقم السيارة ؟
تردّد الرجل ، وهو يقول :
ـ فى الواقع .. أننى .
صاح به (حسام) :
ـ هل حصلت عليه أم لا ؟
هتف السائق بسرعة :
ـ نعم .. إنه (..........) .
ابتسم (حسام) مرة أخرى فى فخر ، وقال لـ (أدهم) :
ـ أرأيت أيها القائد .. انتزاع المعلومات ليس بالمهمة الشاقة .
رمقه (أدهم) بنظرة صارمة وهو يقول :
ـ هيا بنا .. لقد انتهت مهمتنا .
انتقل الثلاثة إلى السيارة ، التى استأجروها ، وانطلقت بها (منى) ، و (حسام) يقول فى زهو :
ـ هل راق لكما أسلوبى ؟

قال (أدهم) فى غضب :
ـ ماالذى فعلته بالضبط ؟.. وما المفروض أن نشعر به ؟.. هل نسعد لأنك عاملت هؤلاء الأبرياء العزل بكل هذه القسوة ؟
هتف (حسام) :
ـ قسوة ؟!.. كنت أتصوّر أنك ستمنحنى وسامًا ، لأننى حصلت على المعلومات بهذه السرعة .
قال (أدهم) :
ـ وبأسلوب المجرمين .
صاح (حسام) :
ـ هذا الأسلوب ، الذى يصلح مع الجميع .. أنسيت أننا نواجه سفاحين ومجرمين وقتلة .
لوّح (أدهم) بسبّابته ، قائلًا :
ـ دعنا لا نتحوّل إلى أساليبهم القذرة إذن .
صاحت (منى) :
ـ رويدكما .. لا داعى للشجار الآن .. دعونا نبحث عن (قدرى) أوّلًا .
أجابها (أدهم) :
ـ إننا نفعل يا (منى) .. انطلقى بنا إلى أقرب متجر لأجهزة الكومبيوتر ، وسيحصل لنا (حسام) على بيانات

تلك السيارة، ثم ننطلق لمواجهة أصحابها على الفور، ونعلم منهم ما فعلوه بصديقنا (قدرى) .

ثم انعقد حاجباه فى شدة، وهو يستطرد :

ـ ولو أنهم مسّوا شعرة واحدة منه، فسيتمنون من أعماق قلوبهم أن يموتوا ألف مرة .

واعتدل فى مقعده، مضيفًا فى حزم :

ـ هذا وعد .

★ ★ ★

لم تكن قد مرت ساعة واحدة، منذ اختطاف (قدرى)، عندما دلف (أدهم) و (منى) و (حسام) إلى ملهى صغير، فى أحد ضواحى (لوس أنجلوس)، وسأل (أدهم) الساقى :

ـ أين أجد (فرناندو دييز) ؟

رمقه الساقى بنظرة طويلة، وهو يسأله :

ـ ماذا تريد منه بالضبط ؟

منحه (أدهم) ورقة مالية كبيرة، مع ابتسامة هادئة، وهو يقول :

ـ عملًا صغيرًا .

ابتسم الساقى، وهو يدس النقود فى جيبه، وأشار إلى رجل يحتل أحد مقاعد البار، وقال :

ـ هاهو ذا (فرناندو) .. لا تتحدث إليه طويلًا، فهو شديد المرح والكرم اليوم، وليس من عادته أن يأتى إلى هنا فى الصباح .

غمغم (أدهم) :

ـ أعلم هذا .. لقد احتجنا وقتًا أطول للعثور عليه .

بقى (حسام) و (منى) عند المدخل، فى حين اتجه (أدهم) مباشرة إلى (فرناندو)، وسأله دون مواربة :

ـ أين الرجل ؟

بتر (فرناندو) ضحكته العالية، والتفت إليه، قائلًا فى سخرية :

ـ أى رجل ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء شديد :

ـ الرجل الذى اختطفته مع زميلك من سيارة الإسعاف .

حدّق (فرناندو) فى وجهه لحظة، ثم التفت إلى رفاقه، قائلًا :

ـ هل سمعتم هذا يا رفاق ؟.. هذا الرجل يتهمنى باختطاف رجل .. بمَ أجيبه فى رأيكم ؟ أليس الجواب الأمثل هو هذا ؟

قالها وهو يستدير بغتة لمواجهة (أدهم)، وبيده مدية حادة، تندفع نحو عنق هذا الأخير ..

ولكن (أدهم) استقبل معصم (فرناندو) بين أصابع يده اليسرى، وهوى على فكه بلكمة ساحقة من يمناه، ثم حمله فى سرعة مدهشة، وألقاه نحو الجدار، فارتطم به فى عنف، وسقط أرضًا ..

وفى غضب، صاح رفاق (فرناندو) :

ـ هل سنتركه يفعل بزميلنا هذا يا رفاق ؟.. هلموا بنا .

انقضوا كلهم على (أدهم)، فى آن واحد، وكان عددهم يتجاوز الدستة من الأشرار، واستقبلهم (أدهم) بلكماته وركلاته، فرفع (حسام) حاجبيه، وقال :

ـ الواقع أنه عظيم للغاية (أدهم) هذا .. أتعتقدين أنه يستطيع التعامل معهم وحده، أم أنه يحتاج إلى تدخلنا .

قالت (منى) فى هدوء :

ـ لست أدرى .. ولكننى سأنضم إليه على أية حال .

هزّ (حسام) كتفيه، وقال :

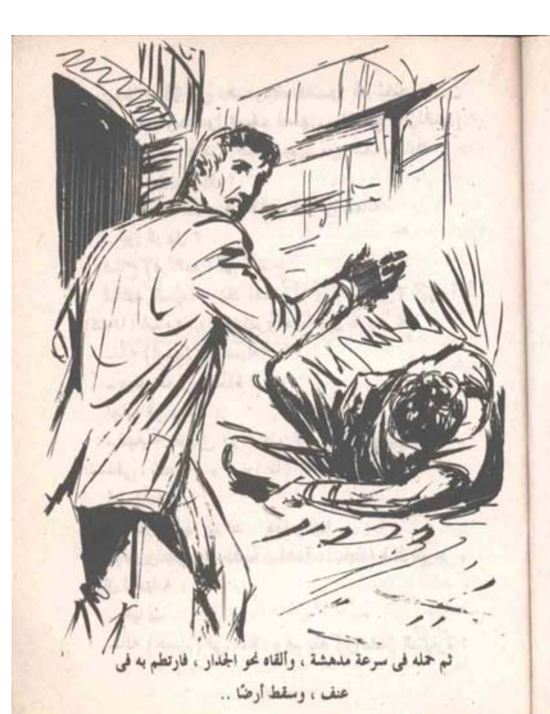
ـ ولماذا أبقى أنا دون عمل ؟

واندفع الاثنان نحو منطقة القتال ..

ولم يكن القتال متكافئًا أبدًا ..

فمع ثلاثة مثل (أدهم) و (حسام) و (منى)، كان الأمر يحتاج إلى أكثر من دستة، من الرجال الأقوياء ..

كان يحتاج إلى جيش كامل ..



ثم حمله فى سرعة مدهشة، وألقاه نحو الجدار، فارتطم به فى عنف، وسقط أرضًا ..

وخلال دقائق معدودة ، كانوا قد تخلّصوا من مهاجميهم ، وحطّموا نصف الملهى ، فاندفع (فرناندو) محاولًا الفرار ، ولكن (أدهم) جذبه من عنقه ، قائلًا :

- إلى أين يا رجل ؟

ولكمه مرة أخرى فى أنفه ، قبل أن يسأله :

- أين الرجل ؟

صاح (فرناندو) فى ارتياع :

- عند السيِّدة .. لقد نقلناه أنا و (مينوس) إليها .. (كابانا) تسلّمه ، ولسنا ندرى ماذا فعل به بعد هذا .

سأله (أدهم) فى صرامة :

- وما عنوان السيِّدة ؟

أجابه فى رعب :

- نهاية طريق (واشنطن) .. فيلا صغيرة أمام الشاطئ ، تحمل اسم (سوزانا) .

قال (أدهم) :

- أشكرك أيها الوغد .. هذا يكفينا .

ثم هوى على فكه بلكمة صاعقة ، أسقطته فاقد الوعى ، وقال لزميليه :

- هيا بنا .

سأله (حسام) فى حدة ، وهم يقفزون داخل السيارة :

- ما الفارق بين ما فعلته أنت هنا ، وما فعلته أنا فى دائرة الإسعاف ؟! كلانا لكم رجلًا ، وحصل على بعض المعلومات .

قال (أدهم) فى هدوء :

- فارق ضخم يارجل ، فأنت لكمت بريئًا ، وأنا لكمت مجرمًا ... هنا يكمن الفارق .

همّ (حسام) بمناقشة الأمر ، إلا أنه بدا له منطقيًا ، فأطبق شفتيه ، ولاذ بالصمت التام ، و (منى) تنطلق بالسيارة نحو شارع (واشنطن) ..

ولم يستغرق الأمر أكثر من ربع الساعة ، قالت (منى) بعدها :

- ها هوذا شارع (واشنطن) .

قال (أدهم) فى انفعال واضح :

- دعونا نبحث عن عنوان الأفعى .

سألته (منى) :

- هل تشعر بالتوتر ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. إننى أقترب من مخبأ (سونيا) ، وولدى يقيم معها حتمًا هناك .

تمتمت ، وهى تربّت على كفه فى حنان :

- أنا أقدّر هذا .

لمح (حسام) هذا ، فانعقد حاجباه فى ضيق ..

إنه يعلم أنها تحب (أدهم) ..

يثق بهذا تمامًا ..

ولكنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من حبها ..

ولا من الشعور بالغيرة ..

كل ما فعله هو أنه أشاح بوجهه ، وقال بصوت مختنق :

- ذلك الوغد هناك يقول : إنه فى نهاية الطريق .

هتفت (منى) فجأة :

- ها هوذا .

كانت تشير إلى فيلا صغيرة أنيقة ، تحمل اسم (سوزانا) بحروف كبيرة ، فتمتم (أدهم) فى انفعال :

- (سونيا) لا يمكنها مقاومة الرغبة فى الظهور .

أوقفت (منى) السيارة أمام الفيلا ، وقفز الثلاثة منها ، واندفعوا إلى الحديقة ، و (أدهم) يشير لـ (منى) بالالتفاف من اليمين ، ولـ (حسام) بالدوران حول الجانب الأيسر ، فى حين انطلق هو إلى الباب الرئيسى مباشرة ، وضربه بقدمه فى قوة ، فانفتح على مصراعيه ، وقفز هو داخل البهو ، وهو يدير مسدسه بسرعة ، فى كل الاتجاهات ، قبل أن يعتدل ، قائلًا فى توتر :

- يبدو وكأنها فيلا خالية .

كان كل شىء حوله مرتبًا أنيقًا ، وهو يتفقّد المكان ، حتى اندفع (حسام) و (منى) إلى الداخل ، وهتف (حسام) :

- لا يوجد أحد هنا .. الفيلا خالية .

غمغم (أدهم) فى مرارة :

- أعلم هذا .

سألته (منى) :

- أتعتقد أن (سونيا) نجحت فى الفرار ، قبل أن نصل إليها ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى ضيق :

- هذا ما دأبت على فعله ، فى الآونة الأخيرة .

وهنا قال (حسام) :

- هناك قبو مفتوح .. إلى اليسار .

التفت ثلاثتهم إلى القبو ، واتجهوا إليه مباشرة ، وهبطوا فى درجات سلمه بحذر بالغ ، قبل أن تهتف (منى) فى ارتياع :

- ربّاه !. إنه (قدرى) .

أسرعوا إليه فى لهفة ، وهو فاقد الوعى تمامًا ، وانحنى (حسام) ليحل قيوده ، عندما ارتدّ كالمصعوق ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !.. كفه اليمنى !

التفت (أدهم) و (منى) إلى يد (قدرى) اليمنى، وشهقت (منى) فى هلع، فى حين انعقد حاجبا (أدهم) فى غضب لا حدود له ..

لقد كانت كف (قدرى) اليمنى محطمة ..

محطمة تمامًا .

* * *



١٣ ـ الإنذار ..

«ليس أمامنا سوى البتر» .

نطق أخصائى العظام بمستشفى (لوس أنجلوس) هذه العبارة فى حسم، وهو يفحص صور الأشعة السينية لكف (قدرى) اليمنى، فعقد (أدهم) حاجبيه فى شدة، وهو يقول :

ـ مستحيل !

ثم واجه الطبيب، مستطردًا :

ـ اسمع يا سيّدى .. هذا الرجل الراقد أمامك، لا يملك فى حياته كلها سوى هذه الكف، ولو بترتها، تكون كمن أصدر ضده حكمًا بالإعدام .

سأله الطبيب فى اهتمام :

ـ لماذا ؟.. أهو عازف بيانو ؟

أجابه (أدهم) :

ـ شىء أكثر ندرة .. ومن المحتم أن نبذل أقصى جهد ممكن، ونستنفد محاولات العلاج كلها، قبل أن نتخذ قرارًا بالغ الخطورة كالبتر .

هزّ الطبيب رأسه فى أسف، وقال :

ـ هذا كل ما يمكننى فعله للأسف .

سأله (أدهم) فى حزم :

ـ ومن يمكنه أن يفعل المزيد ؟

فكّر الطبيب لحظة، ثم أجاب :

ـ لا يوجد سوى البروفيسير (ويليام دانلو)، ولكن ..

سأله (أدهم) :

ـ ولكن ماذا ؟

لوّح الرجل بكفيه، وقال :

ـ إنه يتقاضى مبلغًا باهظًا، فى مثل هذه الأحوال، وأجنبى مثلك ومثل رفيقك، لا يمكنه أن يتحمّل هذا، دون تأمين طبى شامل، و ..

قاطعه (أدهم) فى حزم :

ـ أرسل فى استدعائه .

رفع الطبيب حاجبيه فى دهشة، وهو يقول :

ـ ألا تعلم المبلغ أوّلًا ؟

انتزع (أدهم) دفتر شيكاته من جيبه، وملأ أحد الشيكات بسرعة، وناوله للطبيب، الذى رفع حاجبيه فى دهشة، هاتفًا :

ـ مليون دولار ؟!.. أتدفع مليونًا من الدولارات، من أجل صديقك .

أجابه (أدهم) فى حسم :

ـ أرسل فى استدعاء البروفيسير (دانلو) يا سيّدى، وأخبره أننى مستعد لدفع مليون أخرى، على أن يتم شفاء يد صديقى .

تطلع إليه الطبيب فى انبهار، وغمغم :

ـ سأستدعيه على الفور .

وعندما غادر (أدهم) الحجرة، كان الطبيب مبهورًا .. مبهورًا بكل معنى الكلمة ..

* * *

استغرقت رحلة (سونيا)، من (لوس انجلوس) إلى جزيرة (هيل)، ما يقرب من أربع ساعات، وعلى الرغم من هذا، فقد بدت شديدة النشاط والحيوية، وهى تهبط على الجزيرة، وتقول لمسئول الأمن فيها :

ـ لماذا لم تتبع إجراءات الأمن المعتادة معى ؟

قال الرجل فى دهشة :

ـ وكيف أفعل هذا يا سيّدتى ؟.. إنك الزعيمة .

صاحت فى غضب :

ـ فليكن .. القواعد تسرى على الجميع .. حتى أنا .. لا تستثن أى مخلوق من إجراءات الأمن قط .. هل تفهم ؟

أجابها فى سرعة :

ـ أفهم يا سيِّدتى .
اتجهت على الفور إلى قاعتها الخاصة ، وقالت عبر أجهزة الاتصال الداخلى :
ـ أعدّوا أجهزة البث .. سنبدأ بعد خمس دقائق .. أريد إذاعة البيان عبر الأقمار الصناعية ، وبثه إلى أجهزة الاستقبال اللاسلكى ، فى إدارات المخابرات ، فى الدول الخمس ، التى وقع عليها الاختيار .
بدأ الرجال فى إعداد الأجهزة ، فى حين أشعلت هى سيجارتها فى توتر وانفعال ، وراحت تفرك أصابعها ، وهى تتحرّك فى المكان . وتقول لطفلها ، الذى يراقبها فى حيرة :
ـ بعد دقائق ، ستبدأ العملية يا صغيرى .. أكبر عملية فى حياتى كلها .. بل فى التاريخ كله .. كل شىء مدروس بمنتهى الدقة .. لا مجال للفشل .. سنذيع الإنذار ، ونعلن مطالبنا على نحو سرى للغاية ، فلا تعرفه سوى أجهزة المخابرات والحكومات ، حتى لا يصبح الاستسلام مخزيًا أو مذلاً .. هذا يضمن استجاباتهم بأدنى مقاومة .. ولن يجرؤ أحدهم على رفض مطالبى فيما بعد .. كل شىء سيسير على ما يرام .. كل شىء .
كانت تنفث دخان سيجارتها فى عصبية شديدة ، حتى

أتاها صوت أحد رجالها ، يقول عبر جهاز الاتصال الداخلى :
ـ مستعدون للبث يا سيِّدتى .
سرت فى جسدها قشعريرة الانفعال ، ثم التقطت نفسًا عميقًا ، وهى تقول :
ـ من الضرورى أن أبدو هادئة واثقة .
وأطفأت سيجارتها فى عنف ، ثم أمسكت بوق الإرسال ، و ...
وبدأت ترسل إنذارها إلى العالم ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة والنصف مساءً ، عندما انتهى البروفيسير (دانلو) من فحص كف (قدرى) ، وكل الفحوص التى أجريت له ، ثم قال فى هدوء :
ـ يمكننا أن نتفادى عملية البتر بالطبع .
هتف (حسام) :
ـ رائع .
ولكن البروفيسير استدرك :
ـ ولكننى لا أضمن الشفاء التام .
سأله (أدهم) فى قلق :

ـ ماذا تعنى بهذا ؟
أجابه البروفيسير ، وهو يشير إلى صور الأشعة :
ـ انظر إلى هذه الكف .. لقد فتّتوا عظامها تمامًا ، ولا أحد يعلم ماذا أصاب الأعصاب والشرايين والعروق .. إننا سنعيدها إلى شكلها الأصلى بمعجزة ، وسنحتاج فى سبيل هذا إلى عشرات الأجهزة ، ودستة من الخبراء .. إننا سنجمع الأجزاء فى دقة ، كما يفعل الأطفال فى لعبة (البازل) ، وسنحيط كل قطعة بغلاف بلاتينى خاص ، و ..
ثم لوَّح بيده ، مستطردًا :
ـ ولكن دعك من هذه التفاصيل الفنية .. إنها تثير مللى أيضًا .. المهم أننا فى النهاية سنستعيد هيئة الكف ، ونتفادى عملية البتر ، أما أن نستعيد إليه قدرتها على العمل ، كما كانت تفعل فى الماضى ، فهذا أمر آخر ، يحتاج إلى عام على الأقل من العلاج الطبيعى ، وإرادة قوية ، و ...
قاطعه (أدهم) :
ـ قم بدورك أنت يا سيِّدى البروفيسير ، ودع الباقى لنا .
حاول (قدرى) أن يبتسم ، وهو يتمتم فى تهالك :
ـ نعم .. لقد اعتدنا هذا .

ربَّت (أدهم) على كتفه ، وقال :
ـ ستشفى بإذن الله يا صديقى .
هزَّ البروفيسير رأسه ، وقال :
ـ فليكن .. سنبدأ الاستعدادات من الآن ، وبعد ساعة واحدة ، سيدخل صديقكم إلى حجرة العمليات ، وليوفقنا الله .
غادر الحجرة فى هدوء ، فامتلأت ملامح (قدرى) بالأسى ، وهو يقول :
ـ لست أتفاءل كثيرًا هذه المرة .
ضغط (أدهم) يده فى رفق ، قائلًا :
ـ ستشفى بإذن الله يا صديقى ، أما ذلك الوغد ، الذى فعل بك هذا ، فسيدفع الثمن غاليًا .
قال (حسام) بسرعة :
ـ اترك لى هذه المهمة .
التفت إليه (أدهم) ، فأضاف فى صوت يمزج الحزم بالرجاء :
ـ أنا أقدر على التعامل مع هذه الفئة .
تنهَّد (أدهم) ، وهو يفكِّر فى عمق ، ثم غمغم :
ـ إنه لك .
بدا الارتياح على وجه (حسام) ، فى حين قال (قدرى) فى أسى :

ـ (أدهم) ... أعتقد أننى أدين لك بالكثير .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ لا ديون بين الأصدقاء يا (قدرى) .

وفى هذه اللحظة ، دلفت (منى) إلى الحجرة ، شاحبة الوجه ، وحاولت أن تبتسم ، وهى تقول لـ (قدرى) :

ـ آه ... إذن فقد استعدت وعيك .. كيف حالك يا رجل ؟.. الأطباء يقولون : إنك ستستعيد مهارتك قريبًا .

ابتسم (قدرى) فى حزن ، وقال :

ـ أنت لا تحسنين الكذب يا عزيزتى .

أما (أدهم) ، فقد التفت إليها ، قائلًا :

ـ ماذا بك ؟.. تبدين شاحبة للغاية .

أجابته فى توتر ملحوظ :

ـ لقد اتصلت بمكتبنا فى (نيويورك) ، لأبلغهم بآخر التطورات ، فأخبرونى أنهم قلبوا الأرض بحثًا عنك ، منذ ثلاث ساعات ، وسفيرنا فى (واشنطن) يطلب مقابلتك على الفور .

عقد حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ ماالذى يعنيه هذا ؟

ارتجف صوتها ، وهى تقول :

ـ لقد بدأت (سونيا) عمليتها الكبرى ، وهى تهدد العواصم الكبرى بالنسف .

سألها (حسام) :

ـ يا للغرور ! وكيف يمكنها نسف العواصم الكبرى ؟

ارتجف صوت (منى) أكثر ، وهى تقول :

ـ بالقنابل .. القنابل النووية .

وأدرك الجميع خطورة الموقف ..

★ ★ ★

«إنه أصعب موقف واجهته دولتنا ، فى تاريخها كله ..» .

نطق السفير هذه العبارة فى توتر بالغ ، وهو يواجه (أدهم) ، ولوّح بكفه ، مستطردًا فى قلق :

ـ الجميع يؤكدون أن هذه المرأة ليست بالمجنونة ، وأنها تمتلك حتمًا تلك الرءوس النووية ، التى أعلنت عنها فى إنذارها .. لقد طلبت عشرة مليارات دولار ، من كل دولة ، وجميعنا نعلم أنها مجرّد بداية ، وأنها لن تلبث أن تطلب المزيد والمزيد ، وستمتد سيطرتها رويدًا رويدًا ، حتى تصبح أكبر قوة فى العالم أجمع .

وضرب سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا فى سخط :

ـ يا إلهى !.. من كان يتصوّر أن هذا يمكن أن يحدث فى عالم الواقع ؟!.. إنه أشبه بالروايات الخيالية ، وأفلام (جيمس بوند) .. الشخص الذى يحلم بالسيطرة على العالم .. يا للسخافة !

سأله (أدهم) :

ـ ألم يستطع أحد تحديد مصدر البث ؟

مطّ السفير شفتيه ، وقال :

ـ لم يكن ذلك عسيرًا .. لقد توصّلوا بسرعة إلى مصدر البث ، وهى لم تبد أدنى اهتمام بهذا ، بل أبلغتهم أن أية محاولة لمهاجمة مقرّها ، أو نسفه من بعيد ، لن تؤدى إلا لإشعال فتيل الرءوس النووية الخمس ، وتفجيرها على الفور .. وعندما حامت الطائرات الأمريكية حول جزيرتها الصغيرة ، التى أطلقت عليها اسم (هيل) وجدوا أنها أنشأت وكرها على قمة الجزيرة ، فى شكل قلعة منيعة ، تحيط بها دائرة نصف قطرها مائة متر ، من أرض ملساء زلقة ، مقاومة للخدش ، بها طريق واحد إلى البوّابة ، وعلى قمتها حرف (S) ضخم ، تحيط به أفعى دائرية ، تلتهم ذيلها .

عقد (أدهم) حاجبيه ، أمام تلك التفاصيل المدهشة ، وغمغم :

ـ هناك حتمًا وسيلة للوصول إليها .

زفر السفير فى مرارة ، وهو يهزّ رأسه نفيًا ، قبل أن يقول :

ـ لقد بحث البريطانيون والأمريكيون كل الاحتمالات ،

فاقتربت إحدى طائراتهم من الجزيرة ، وتم نسفها بصاروخ مضاد للطائرات ، أما الغواصات ، فتم رصدها وتحذيرها من الاقتراب ، من مسافة خمسة أميال بحرية ، وعندما تقدّمت إحداها أكثر ، أصاب لغم بحرى متطوّر مقدمتها ، وكادت تغرق بكامل طاقمها .

قال (أدهم) فى اهتمام :

ـ لا يوجد جهاز أمنى بلا ثغرات .

قال السفير :

ـ كان هذا رأى الأمريكيين أيضًا ، ولهذا فقد أرسلوا أحد رجالهم للتفاوض مع زعيمة (سناك) ؛ لمعرفة إجراءات الأمن هنا ، وعاد الرجل مبهورًا مبهوتًا ، وقال : إنه تعرّض لاختبارات فحص وتحقّق ، أكثر من ست مرات ، فتم فحص وجهه بالأشعة فوق البنفسجية ، وصُوّرتَ بصماته إليكترونيًا ، وفحَصوا قزحيته ، وجردوه من ثيابه تمامًا ، وفحصوه بأشعة رونتجن ، ثم منحوه ثوبًا خاصًا ، قبل أن تلتقى به الزعيمة من خلف زجاج مضاد للرصاص ، مع طفلها الصغير .

اعتدل (أدهم) فى حركة حادة ، وهو يقول :

ـ طفلها .

أجابه السفير :

ـ هل تصدّق هذا ؟!.. تلك الأفعى المتوحشة تصحب طفلها فى كل مكان ، وكأن لديها ذرة من الإحساس بالأمومة .

بدا التوتر الشديد على وجه (أدهم) ، وهو يكرّر :

ـ لا يوجد جهاز أمنى بلا ثغرات .. هذا مستحيل .

ثم نهض مستطردًا :

ـ هناك حتمًا وسيلة لبلوغ ذلك الحصن ، وإيقاف تلك الشيطانة عند حدها .

تطلّع إليه السفير فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ربما كان حماسك هذا هو الذى جعلهم فى (القاهرة) يرشحونك لهذه المهمة بالذات .. من الواضح أنك لا تعرف المستحيل .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ لا يوجد مستحيل يا سيّدى .. سأعود الآن إلى (لوس أنجلوس) ، حيث تركت صديقًا لى ، فى حجرة العمليات ، لأحضر إلى هنا ، وهناك سأبحث عن طرف خيط ، يقودنا إلى تلك الأفعى .

قال السفير :

ـ المهم أن تفعل هذا بسرعة يا رجل ، فزعيمة (سناك) لم تمهلنا سوى ثمان وأربعين ساعة ، وبعدها ..

صمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ وبعدها تكون النهاية .. نهاية العالم ..

* * *



١٤ ـ المعلومات ..

أطلق (لوبوكابانا) ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يضم إلى صدره حسناء فاتنة ، ورفع كأسه عاليًا ، وهو يهتف :

ـ نخب الثروة والجمال .

ثم جرع كأسه دفعة واحدة ، وعاد يضحك ، متصوّرًا أن الدنيا كلها صارت ملك يمينه ، وهو يصبّ لنفسه كأسًا أخرى ، و ...

وفجأة ، سمع من خلفه صوتًا صارمًا ، يقول :

ـ أنت (كابانا) .. أليس كذلك ؟

التفت (كابانا) يتطلّع فى دهشة إلى (حسام) ، قبل أن يبتسم فى سخرية ، قائلًا :

ـ بلى .. هو أنا .. ماذا تريد من (كابانا) يا هذا ؟

انعقد حاجبا (حسام) ، وهو يقول :

ـ حياته .

حدّق (كابانا) فى وجهه بدهشة ، ثم هبّ واقفًا ، وجذب مسدسه ، وهو يقول فى حدة :

ـ هل تسخر منى يا رجل ؟

ولكن قبضة (حسام) حطّمت أنفه بلكمة ساحقة ، ألقته أرضًا فى عنف ، وهو يصرخ :

ـ لقد حطّمت أنفى .. حطّمت أنفى يارجل .

وصوّب مسدسه إلى (حسام) ، مستطردًا :

ـ وستدفع الثمن .

ركل (حسام) مسدسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ دعك من الأسلحة النارية أيها الوغد .. سنتقاتل رجلًا لرجل .

صرخ (كابانا) :

ـ النجدة .. إنه يحاول قتلى .

أخرسه (حسام) بلكمة أشد عنفًا ، كسرت سنتيه الأماميتين ، فبصقهما مع الكثير من الدماء ، وهو يهتف :

ـ اطلبوا الشرطة .. النجدة .

تحرّك بعض الحاضرين ، فى محاولة لنجدة (كابانا) ، ولكن (حسام) انتزع مسدسه ، وصاح بهم فى غضب صارم :

ـ حذار أن يقترب أحدكم .. إنه أمر شخصى .

تراجع الجميع فى ذعر ، وأسرع معظمهم يغادر المكان ، فى حين التفت (حسام) إلى (كابانا) قائلًا :

ـ هذا من أجل زميلنا ، الذى حطّمت كفه .



ركل (حسام) مسدسه فى قوة، وهو يقول :
ـ دعك من الأسلحة النارية أيها الوغد ..

صرخ (كابانا) :
ـ كانت أوامرها .. كنت أنفذ أوامرها ..
هوى (حسام) على وجهه بمسدسه، وحطم آخر ضروسه، وهو يقول :
ـ ادفع الثمن إذن .
ثم لكمه فى معدته، وركله فى وجهه، وسقط (كابانا) أرضًا، وهو يهتف فى ارتياع :
ـ لا تقتلنى .. أرجوك .. لا تطلق علىَّ النار .
صوَّب إليه (حسام) مسدسه، وهو يقول :
ـ أنت تستحق القتل فى الواقع، ولكننى لن أقتلك .. لقد اخترت مصيرًا أسوأ .
وأطلق رصاصتين من مسدسه، اخترقت كل منهما واحدة من يدى (كابانا)، الذى راح يصرخ فى ألم رهيب، فى حين أعاد (حسام) مسدسه إلى جيبه، وهو يقول :
ـ العين بالعين .. والسن بالسن يارجل .. هذا هو الجزاء العادل .
وغادر المكان فى هدوء، وهو يشعر فى أعماقه بارتياح عجيب ..
ارتياح ظافر ..

★ ★ ★

لم تكد طائرة (أدهم) تهبط فى مطار (لوس أنجلوس)، حتى غادر المطار إلى المستشفى مباشرة، واستقبلته (منى) هناك، وهى تقول :
ـ حمدًا لله على سلامتك يا (أدهم) .. هل عرفت كل التفاصيل ؟
أجابها (أدهم) فى لهفة :
ـ نعم .. كيف حال (قدرى) ؟
تنهَّدت قائلة :
ـ لقد استغرقت العملية عشر ساعات كاملة، ولكن البروفيسير (دانلو) يقول: إن العملية نجحت تمامًا، بالنسبة لشكل وسلامة اليد، وسيتأكد من نجاحها بالنسبة للحركة البسيطة، عندما يستعيد (قدرى) وعيه .
قال (أدهم) :
ـ حمدًا لله .. هذا أفضل خبر سمعته، خلال الساعات العشر الماضية .
وصل (حسام) فى هذه اللحظة، وهتف فى مرح :
ـ آه .. حمدًا لله على سلامتك أيها القائد .. كيف حالك ؟
صافحه (أدهم). قائلًا :
ـ حمدًا لله .. كيف حالك أنت ؟
ارتفع فى هذه اللحظة صراخ (كابانا)، وهو ينقلونه إلى حجرة الطوارئ العاجلة، فقالت (منى) :

ـ ماهذا الصراخ المزعج ؟
ابتسم (حسام)، وهو يقول :
ـ لا توليه اهتمامًا .. إنه وغد شاب، يحمل اسم (كابانا) .. يقولون إن أحدهم حطَّم كفيه منذ ساعة تقريبًا .
قال (أدهم) فى هدوء :
ـ من المؤكد أنه كان يستحق هذا .
وغمغمت (منى) فى ارتياح :
ـ افعل ما شئت، فكما تدين تدان .
ثم التقطت نفسًا عميقًا، وسألت (أدهم) :
ـ بِمَ أخبرك السفير ؟
شرد بصر (أدهم) لحظة، ثم قال :
ـ بأمر سيذهلكما .
وراح يقصّ عليهما كل ماسمعه من السفير، وهما يستمعان إليه فى دهشة بالغة، وقلق عارم، ثم قال (حسام) :
ـ يا للعينة !.. لقد أحكمت لعبتها هذه المرة .
وقالت (منى) :
ـ من الضرورى أن نسعى للوصول إليها يا (أدهم) .. (مصر) لن تحتمل سداد مثل هذا المبلغ الهائل، ثم إنه

من الخطإ أن نسمح لأفعى مثل هذه بفرض سيطرتها على العالم كله .

قال (أدهم) :

ـ المهم أن نجد الوسيلة ، فلقد اتخذت (سونيا) كل الاحتياطات الممكنة ، ولم تترك ثغرة واحدة .

قال (حسام) فى حماس :

ـ كل أجهزة الأمن تحوى ثغرة حتمًا ، مهما بلغت دقتها ، وبلغ إحكامها .

أجابه (أدهم) :

ـ هذا صحيح ، ولكن أين هذه الثغرة ؟.. إننى أفكّر فى الأمر ، منذ أقلعت الطائرة من (واشنطن) ، وما زال السؤال يدور بذهنى .. أعتقد أننى بحاجة إلى المزيد من المعلومات ، لنعثر على هذه الثغرة .

همهم (قدرى) بشىء ما ، وهو يفتح عينيه ، ويديرهما إلى (أدهم) ، فأسرعت إليه (منى) ، قائلة :

ـ حمدًا لله .. لقد استعدت وعيك يا (قدرى) .

أشار بأصابع يده اليسرى فى ضعف ، وهو يتمتم فى همس :

ـ لدىّ المعلومات .

مال (أدهم) نحوه ، قائلًا :

ـ ماذا تقول يا (قدرى) ؟

ازدرد (قدرى) لعابه ، ليرطب حلقه الجاف ، وتمتم مكررًا :

ـ لدىّ المعلومات .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ـ ماذا لديك ؟

لهث (قدرى) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ لقد تحدثت (سونيا) مع رجل يدعى (ألكسى) .. محادثة عبر البحار .. قالت :إنها ستذهب إلى (هيل) ، وهو سيلحق بها هناك .. طائرتها الخاصة ستنتظره هنا .. فى (لوس أنجلوس) .

قال (حسام) فى دهشة :

ـ أهو هذيان المرض ؟

لوّح (قدرى) بيده اليسرى ، وتصبب على وجهه عرق غزير ، وهو يقول :

ـ بل معلومات صحيحة .

ثم تهالك فاقد الوعى مرة أخرى ، فتطلّعت (منى) إلى (أدهم) فى حيرة ، وقالت :

ـ أتظنه يعنى ما يقول ؟

أجابها (أدهم) فى ثقة :

ـ نعم .. لقد بذل جهدًا خرافيًا ليبلغنا ما لديه .

ثم عقد حاجبيه مفكرًا ، وهو يقول :

ـ (ألكسى) .. محادثة عبر البحار .. ما الذى يشير إليه هذا ؟

أجاب (حسام) :

ـ إنه رجل روسى على الأرجح .

أشار إليه (أدهم) ، وقال فى حماس :

ـ بالضبط .. روسى تحدث إليها عبر البحار ، وقال إنه سيأتى إلى (لوس أنجلوس) ، حيث تنتظره طائرتها الخاصة ، وتنقله إلى وكرها ، الذى يعجز الجميع عن دخوله .

قالت (منى) :

ـ ما الذى يجول بخاطرك يا (أدهم) ؟

هتف (حسام) :

ـ سأخبرك أنا .. إنه سينتظر وصول (ألكسى) هذا ، ثم يلقى القبض عليه ، وينتحل شخصيته ، وينطلق بطائرة (سونيا) الخاصة إلى جزيرة (هيل) .

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ هذا مستحيل يا صديقى ، فمن الواضح أن (ألكسى) هذا هو أحد رجال (سونيا) ، وستجد لديها حتمًا سجلات

لبصماته ، وبصمة قزحيته ، وكل التفاصيل الأخرى عنه ، ثم إن الفحص بالأشعة فوق البنفسجية ، أو تحت الحمراء ، يكشف بسهولة محاولات التنكر والتخفى .

بدت الحيرة على وجه (حسام) ، وهو يقول :

ـ كيف يمكنك الإفادة بقدوم (ألكسى) ، هذا إذن ؟

ابتسم (أدهم) فى غموض ، وقال :

ـ هذا الأمر سابق لأوانه ، فالمفروض أن نعرف أولًا ، ما إذا كانت الطائرة القادمة من (موسكو) قد وصلت أم لا .. ثم نعثر على طائرة (سونيا) الخاصة .

هتف (حسام) :

ـ امنحنى ربع الساعة ، وسأستعين بكمبيوتر المستشفى ، لأجيب عن كل تساؤلاتك .

واندفع خارجًا ، فى حين سألت (منى) (أدهم) :

ـ قل لى يا (أدهم) : ما خطتك بالضبط ؟

ابتسم قائلًا :

ـ حاولى أن تخمنى يا عزيزتى .

وبدت لها ابتسامته هذه المرة أكثر غموضًا .. أكثر بكثير ..

* * *

عقد مدير المخابرات الروسية حاجبيه الكثين فى توتر شديد ، وهو يقول للرئيس الروسى :

- أنا أيضًا راودتنى الفكرة نفسها أيها الرئيس .. لو أن هذه اللعينة تمتلك بالفعل تلك الرءوس النووية ، التى تتحدث عنها ، فالمكان الوحيد ، الذى يمكنها الحصول عليها منه ، هو نحن .

تنهّد الرئيس الروسى ، وقال :

- من العسير أن يعترف المرء بهذا ، ولكنها الحقيقة بكل أسف يا جنرال .. لقد اعتصرتنا الأزمات الاقتصادية بشدة ، حتى صار لدينا عدد كبير ممن لا يتورعون عن بيع وطنهم نفسه ، مقابل حفنة من المال .

مطّ الجنرال شفتيه ، وقال :

- الشخص الذى باع هذا لن يحصل على مجرّد حفنة من المال .. بل سيحصل على جبل بأكمله .

تراجع الرئيس الروسى فى مقعده ، وهو يسأل :

- ومن يمكنه أن يفعل هذا ؟

أجابه الجنرال دون تردّد :

- شخص واحد .

واكتسب صوته صرامة واضحة ، وهو يردف :

- (فكتور مالينوف) .

قال الرئيس :

- (مالينوف) ؟!.. آه ... بالطبع .. إنه المسئول عن التسليح النووى .

ثم اعتدل ، مستطردًا :

- وماذا سنفعل حيال هذا يا جنرال ؟

أجابه الجنرال فى حسم :

- سأرسل واحدًا من أفضل رجالنا لتحرّى الأمر ، ومراجعة كل مخزوننا النووى .

سأله الرئيس فى فضول :

- من هو ؟

أجابه الجنرال :

- رجل يحمل لقب (الكوبرا) .. (سيرجى) .. (سيرجى كوربوف)(★) .

★ ★ ★

أطفأ (حسام) أضواء السيارة ، وهو يوقفها فى حذر ، على مقربة من مطار خاص ، فى أطراف (لوس أنجلوس) ، وناول (أدهم) منظارًا مجهزًا للرؤية فى الظلام وهو يقول :

- ها هو ذا المطار .. ستجد طائرة (سونيا) الخاصة هناك ، فى أقصى اليسار .

تطلّع (أدهم) إلى الطائرة ، عبر المنظار الخاص ، وغمغم :

(★) راجع قصة (سم الكوبرا) .. المغامرة رقم (٥١) .

- عظيم .. إنها كما كنت أتمنى تمامًا .. طائرة كبيرة ، ذات محركين ، وتتسع لعشرة ركاب ، وبها خزانان للوقود ، واحد أساسى ، وآخر احتياطى .

ثم رفع المنظار عن عينيه ، وتطلّع إلى ساعته ، مستطردًا :

- والمفروض أن تصل أوّل طائرة بعد ساعة كاملة ، وهذا يمنحنا بعض الوقت .

قال (حسام) فى حيرة :

- كم أتمنى أن أعرف خطتك .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

- ألا يمكنك استنتاجها ؟

هزّ رأسه ، قائلًا :

- لقد حاولت ، وفشلت .

أومأ (أدهم) برأسه فى ارتياح ، وقال :

- هذا يعنى أنها خطة مناسبة للغاية .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم سأله (حسام) :

- وماذا عن (منى) ؟.. هل من الحكمة أن نتركها وحدها مع (قدرى) ؟

أجابه (أدهم) :

- كلاّ بالطبع .. إنها لن تبقى وحدها .. ستبقى أنت معها .

هتف (حسام) :

- أنا ؟!.. لا تقل : إنك ستذهب وحدك .

أجابه (أدهم) فى حسم :

- بل سأقول هذا يا (حسام) ، وأكرّره ألف مرة .. الخطة الوحيدة ، التى يمكنها أن تدخلنى (هيل) ، لا تصلح إلا لرجل واحد .

قال (حسام) محتجًا :

- وهل ستواجه وحدك منظمة (سناك) كلها ؟

أجابه (أدهم) :

- من الضرورى أن أفعل .. هذا هو الأمل الوحيد .

همّ (حسام) بقول شىء ما ، ولكن (أدهم) استوقفه بإشارة حاسمة ، وهو يقول :

- لا مجال للمناقشة .. هذا أمر .. والآن عُد بنا إلى المستشفى ، سألقى التحية على (قدرى) و (منى) ، وأبتاع بعض الأشياء الهامة ، وأبدأ العمل على الفور .

انطلق (حسام) بالسيارة فى صمت ، ولكنه لم يكد يعبر باب المستشفى ، حتى قال :

- لا يمكنك الذهاب دون رؤيتها .. أليس كذلك ؟

لم يجب (أدهم) ، وكأنه لم يسمع السؤال ، وظلّ على صمته حتى وصلا إلى حجرة (قدرى) ، فاستقبلتهما (منى) ، وهى تقول فى لهفة :

ـ هل رأيت الطائرة ؟
أجابها (أدهم) :
ـ نعم .. وهى تناسب خطتى تمامًا .
سألته فى فضول :
ـ وما خطتك بالضبط ؟
أجابها (حسام) :
ـ لن يخبرك .. لقد حاولت قبلك .
وقال (أدهم) فى هدوء :
ـ إنها الأمل الوحيد يا عزيزتى ، وأنا أومن كثيرًا بالكتمان ، فى مثل هذه الظروف ، فالسر الذى لا تعرفه ، لا يمكنك البوح به ، حتى وأنت تحت تأثير مصل الحقيقة .
أومأت برأسها متفهمة ، وهمست :
ـ فهمت .
ثم أضافت فى حب وحنان :
ـ وإن كنت أتمنى أن أصحبك .
عقد (حسام) حاجبيه فى ضيق ، وقال فى شىء من العصبية :
ـ سأذهب لمراجعة إجراءات الأمن .
ـ ولم يكد ينصرف ، حتى قالت (منى) فى حيرة :
ـ ماذا أصابه ؟

أجابها (أدهم) :
ـ إنه يشعر بالغيرة .
هتفت :
ـ ولكن .. أنت تعلم أننى ..
لم تستطع إكمال عبارتها ، فقال (أدهم) :
ـ هو أيضًا يعلم ، ولكنه يرى أن من حقه أن يحاول ، ولا يمكننا مطالبته بالكف عن هذا ، إلا بإجراء واحد .
سألته ، وقلبها يخفق فى قوة :
ـ ما هو ؟
أمسك كتفيها ، وتطلَّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :
ـ (منى) .. لو انتهت هذه العملية بسلام .. هل تقبلين الزواج (منى) ؟
اتسعت عيناها فى ذهول ، غير مصدِّقة ما سمعته ، واختلج قلبها فى قوة ، ولكنها لم تشعر باختلاجته ، مع تلك الانتفاضة التى سرت فى جسدها كله ، وهى تهتف :
ـ هل تسألنى ؟
ولم تقاوم مشاعرها هذه المرة ..
لقد تركت جسدها يرتمى بين ذراعيه ، وتركت العنان لدموعها ، هاتفة :
ـ أخيرًا يا (أدهم) .. أخيرًا قلتها .

ضمَّها إليه فى حنان ، ثم أبعدها فى رفق ، ومسح دموعها بأنامله ، مغمغمًا فى حب :
ـ سأعمل ما بوسعى لأعود إليك يا (منى) .. وسنتزوَّج بإذن الله ، فور عودتنا إلى (القاهرة) .
تمتمت من وسط دموعها :
ـ بإذن الله يا (أدهم) .
منحها ابتسامة كبيرة ، وقال :
ـ والآن لابد لى من الانصراف ، فمن حسن حظنا أنه لم تكن هناك طائرات من (موسكو) إلى (نيويورك) ، قبل هذا الموعد ، وأخشى أن نفقد (ألكسى) هذا ، فلا نجد لدينا وسيلة أخرى لبلوغ وكر الأفعى .
قالت ودموعها تغرق وجهها :
ـ وفَّقك الله يا (أدهم) .. وفَّقك الله .
وظلَّت تلوِّح له بيدها ، حتى اختفى عن ناظريها ، وانطلق ليبدأ خطته ..
خطته الأخيرة .

★ ★ ★

١٥ ـ إلى الجحيم ..

لم يكد (ألكسى ميلانوفيتشى) يصل إلى المطار الخاص ، حيث طائرة (سونيا) ، حتى قال فى حماس :
ـ أين طائرة مسز (سميث) ؟
أشار مسئول المطار إلى طائرة (سونيا) ، فاتجه إليها (ألكسى) مباشرة ، وقال لقائدها :
ـ أنا (ألكسى ميلانوفيتشى) .. المفروض أن مسز (سميث) تنتظرنى فى (هيل) .
قال الطيَّار فى هدوء :
ـ أعلم هذا يا سيِّدى .
ثم أشار إلى مساعده ، وراح الاثنان يفتشان (ألكسى) فى سرعة ومهارة ، فهتف معترضًا ومستنكرًا :
ـ ماذا تفعلان ؟.. ألم تخبركما زعيمتكما من أنا ؟
أجابه الطيار فى حزم :
ـ الزعيمة قالت : لا استثناءات .
واعتدل يجذب أنف (ألكسى) ، الذى صرخ :
ـ وما هذا بالضبط ؟

أجابه بسرعة :

ـ للتأكد من عدم وجود أقنعة .

والتقط الحقيبة ، وراح يفحصها بنفس السرعة والاهتمام ، ثم التقط منها كتابًا ضخمًا ، وسأل :

ـ ما هذا بالضبط ؟.. إنه مكتوب باللغة الروسية .. أليس كذلك ؟

أجاب (ألكسى) فى حنق :

ـ بالطبع .. إنها واحدة من روايات (دستويفسكى)(★) .

قلّب الطيار صفحات الرواية ، وهو يقول :

ـ آه .. (دستويفسكى) .. أليس هو صاحب (الحرب والسلام) ؟

هزّ (ألكسى) رأسه نفيًا ، وقال :

(★) (فيودور ميخائيلوفتش دستويفسكى) : (١٨٢١ ـ ١٨٨١م) : روائى روسى ، وأحد عمالقة الأدب الحديث ، نال أوّل نجاح من روايته (المساكين) ، عام ١٨٤٦ م ، وألقى القبض عليه عام ١٨٤٩ م لنشاطه السياسى ، وصدر ضده حكم بالإعدام ، لم يلبث أن خُفّف إلى النفى إلى (سيبيريا) ، التى قضى فيها فترة قاسية للغاية ، وتتميّز رواياته بالاستبصار النفسى العميق ، وعطفه على البشرية ، حتى أكثرها شرورًا ، ومن أشهر مؤلفاته (الجريمة والعقاب) ١٨٦٦م ، (والإخوة كرامازوف) (١٨٧٩ ـ ١٨٨٠م) .

ـ كلّا .. (تولستوى)(★) هو مؤلف (الحرب والسلام) .. أما هذه الرواية ، التى تمسك بها ، فهى (الأخوة كرامازوف) ، أشهر روايات (دستويفسكى) .

قال الطيّار فى لا مبالاة ، وهو يعيد الرواية إلى الحقيبة :

ـ هذا لا يهم ، ما دامت لا تحوى أية شراك خداعية .. هيّا بنا يا سيّدى .. الرحلة تستغرق وقتًا طويلًا .

لم يرق أسلوب المعاملة هذا لـ (ألكسى) ، الذى ظل محنقًا ساخطًا ، حتى بعد إقلاع الطائرة بساعة كاملة ، ثم لم يلبث أن دفن مشاعره بين صفحات الرواية ، التى راح يطالعها فى صمت ، طوال الساعات الثلاث التالية ، حتى بلغت الطائرة جزيرة (هيل) ، ولم تكد أجهزة الجزيرة ترصدها ، حتى ارتفع نداء داخلها ، عبر جهاز اللاسلكى ، يقول :

ـ قم بتعريف نفسك .

أجاب الطيّار فى هدوء :

ـ أنا رقم (٦٠٧) .. وبصحبتى مساعدى رقم (١٠٣) ،

(★) (ليوتولستوى) : (١٨٢٨ ـ ١٩١٠م) : كاتب وفيلسوف دينى روسى ، دعّمت أعماله الأولى مكانته فى الأوساط الأدبية ، استقر بعد زواجه فى قرية (ياسنايا بوليانا) ، حيث كتب روائعه (القوزاق) ١٨٦٣م ، و (الحرب والسلام) ١٨٦٥ ـ ١٨٦٩م ، و (آنا كارنينا) ، ١٨٧٥ ـ ١٨٧٧م .

والكود السرى هو (١٢٢٢٩٥٧ ز) .. ونحن نحمل راكبًا باسم (ألكسى ميلانوفيتش) ، وقد تم تفتيشه بدقة قبل الإقلاع .

قال صاحب النداء فى حزم :

ـ يمكنك الهبوط يا رقم (٦٠٧) ، وسيتم فحص الزائر مرة أخرى ، طبقًا للقواعد المتبعة ، وهذا لا يستثنيك أو يستثنى مساعدك .. ستخضعان للفحوص ذاتها ، وبنفس الدقة .

أجابه الطيّار فى ضجر :

ـ أعلم هذا .. لقد اعتدنا هذا الأسلوب .

غمغم مساعده :

ـ وسئمناه .

ابتسم الطيّار ، وهو ينهى المحادثة ، قائلًا :

ـ إنها إجراءات الأمن يا صديقى .. لا حيلة لنا فى هذا .

هزّ المساعد كتفيه فى استسلام ، وبدأ إجراءات الهبوط بالطائرة ، التى لم تلبث أن استقرّت فى مهبط خاص ، على قمة الجزيرة ، وقال الطيار مبتسمًا :

ـ أخيرًا وصلنا .. تروق لى كثيرًا طائرات الهليوكوبتر الضخمة هذه .. إنها تستطيع الهبوط فى أضيق الحدود .

ثم تمطّ قائلًا :



وبدأ إجراءات الهبوط بالطائرة ، التى لم تلبث أن استقرّت فى مهبط خاص ..

ـ والآن هيًا يا زميلى العزيز .. أمامنا نصف الساعة على الأقل ، من الفحص والتفتيش والاستجواب كالمعتاد .

وغادر الطيّار الطائرة مع مساعده ، وبصحبتهما (ألكسى) ، فى حين راح طاقم أمنى خاص يفحص الطائرة من الداخل والخارج ، لضمان سلامتها ، وعدم احتوائها على أجهزة تصنت خفية . أو قنابل موقوتة أو إليكترونية ..

والعجيب أن نتيجة الفحص أتت سلبية ، بالنسبة للطائرة وركابها الثلاثة ، وتم التحقق من شخصياتهم ، بما لا يدع ذرة واحدة من الشك ..

وهنا يثور السؤال المحيّر ..

ماهى خطة (أدهم) إذن ؟..

ماهى ؟..

★ ★ ★

التقط (فكتور مالينوف) نفسًا عميقًا من سيجارته الصغيرة ، ذات الرائحة النفّاذة ، قبل أن يلقيها أرضًا ، ويسحقها بقدمه ، قائلًا :

ـ الوداع أيتها السجائر الروسية البغيضة .. لقد ظللت تذكريننى بروث البهائم ، طوال ربع قرن .. ولكن هذا العهد انتهى تمامًا .. منذ الصباح الباكر ، سأبدأ فى تدخين السيجار الكوبى الفاخر ، و ...

قاطعه أحد رجاله ، وهو يهرع إليه ، قائلًا فى اضطراب :

ـ سيِّدى .. هناك رجل يطلب مقابلتك .

عقد (فكتور) حاجبيه ، وقال :

ـ فى هذه الساعة ؟!.. لقد كنت أهم بالانصراف .

قال الرجل ، وهو يرتجف :

ـ ولكنه موفد من القيادة العليا يا سيِّدى .. من أجل .. من أجل .

قال (فكتور) فى حدة :

ـ من أجل ماذا يارجل !.. أجب .

أجابه الرجل ، وهو أقرب إلى الانهيار :

ـ من أجل التفتيش على المخزون النووى يا سيِّدى .

عقد (فكتور) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ التفتيش على ماذا ؟..

لم يكد ينطقها ، حتى برز أمامه (سيرجى كوربوف) ، ببنيانه المتين ، ووجهه المربع ، ذى الفك العريض ، وشعره الأشقر القصير ، ورمقه بنظرة قاسية باردة ، بعينيه الزرقاوين ، قبل أن يقول :

ـ كيف حالك يا (فكتور) ؟

نهض (فكتور) يستقبله بابتسامة عريضة ، وهو يقول :

ـ كيف حالك أنت يا (سيرجى) .. سنوات مضت منذ التقينا آخر مرة يا رجل ، ولكنك لم تتغيَّر البتة .. نفس القوام والملامح ، و ...

قاطعه (سيرجى) ببروده القاسى :

ـ والالتزام .

ضحك (فكتور) ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. أنت دائمًا مثال للانضباط والالتزام يا عزيزى (سيرجى) .

مدَّ (سيرجى) يده إليه ، وهو يقول :

ـ وبهذه المناسبة .. أين تقارير المخزون النووى ؟

ناوله (فكتور) التقارير ، وهو يقول فى هدوء :

ـ ها هى ذى .. هل ستقوم بالمراجعة الآن ؟

أجابه (سيرجى) :

ـ وعلى الفور .

أومأ (فكتور) برأسه ، وهو يقول :

ـ على الرحب والسعة .

رمقه (سيرجى) بنظرة باردة أخرى ، ثم اتجه إلى المخزن الهائل ، وراح يفحص الرءوس النووية بمنتهى الدقة ، فارتجف رجل (فكتور) ، وهمس فى اضطراب :

ـ إنه يفحصها عن قرب يا سيِّدى .

نهره (فكتور) فى صرامة :

ـ اصمت وتماسك يا رجل .. أنا أعرف ما أفعله جيدًا .

وراح يراقب (سيرجى) فى اهتمام ، من خلف زجاج مكتبه السميك ، حتى توقَّف هذا الأخير أمام أحد الرءوس النووية ، وانحنى يفحصه فى اهتمام بالغ ، ثم اعتدل قائلًا بنفس القسوة والبرود :

ـ أريد فتح هذا الرأس النووى .. سأفحصه من الداخل .

وهوى قلب رجل (فكتور) بين قدميه ..

بل خارج جسده كله ..

★ ★ ★

« عشر ساعات يا (ألكسى) .. » .

نطقتها (سونيا) فى حماس بالغ ، وهى تشير بأصابع كفيها إلى (ألكسى) ، مستطردة :

ـ عشر ساعات ، ويخضع العالم كله لى .

ابتسم (ألكسى) ، وهو يقول :

ـ هل تتوقعين استسلامهم ؟

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ ليس ببساطة .. إنهم ما زالوا يشكّون فى امتلاكى للرءوس النووية ، ما تزال طائراتهم تحوم حول الجزيرة .

قال فى اهتمام :

- ألم يحاولوا اقتحامها ؟

أطلقت ضحكة عالية ، وهى تقول :

- دعهم يحاولون ، وسأبيد (واشنطن) بضغطة زر واحدة .

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

- الشيء الوحيد الذى يثقون به تمامًا ، هو أننى لا أمزح أيها (الصقر) .. لقد أعددت خطتى بمنتهى الدقة والإحكام .. حتى النملة ، لا تستطيع الوصول إلى هنا ، دون موافقتى .

زفر (ألكسى) ، وقال :

- لقد اختبرت هذا بنفسى .. إنك تبالغين كثيرًا فى إجراءات الأمن ، حتى أننى تصوَّرت لحظة أن رجالك سيسلخون جلدى نفسه ، للبحث تحته عن أية ممنوعات .

ضحكت فى جذل ، قائلة :

- أنت تعرف من نواجه يا عزيزى ..

ثم برقت عيناها فى شراهة ، وهى تستطرد :

- أضف إلى هذا أنها عملية العصر ، وكل العصور السابقة ، وقبل أن أتحدّى العالم كله ، كان من الضرورى أن أتيقَّن من أمر واحد .. أن الوصول إلى هنا مستحيل .

ولوَّحت بيدها ، مضيفة فى حسم :

- مستحيل تمامًا .

* * *

فرك (حسام) عينيه فى إرهاق واضح ، وهو يمدّ قدميه على مقعد إضافى ، فى حجرة (قدرى) ، فقالت (منى) فى إشفاق :

- (حسام) .. أنت تحتاج بشدة إلى قسط من الراحة .

ابتسم مغمغمًا :

- أنا أحصل عليه الآن .

هزَّت رأسها ، قائلة :

- كلَّا .. هذا لا يكفى .. إننا نحتاج أيضًا إلى منزل آمن هنا ، فلم لا تستأجر منزلًا ، وتنام فيه قليلًا ، ثم تعود إلى هنا ، بعد خمس أو ست ساعات ؟!

قال فى حزم :

- لا يمكننى أن أتركك وحدك هنا .

ابتسمت قائلة :

- لا تقلق بشأنى يا (حسام) .. الأمور هادئة كما ترى ، ولن يحاول أحد إيذاء (قدرى) ، بعد كل ما حدث .

قال (حسام) :

- ربما حاولوا قتله .

فتح (قدرى) عينيه ، وغمغم :

- اطمئن يا رجل .. لو أنهم أرادوا قتلى ، لما كنت حيًّا أرزق الآن ..

اعتدل (حسام) ، قائلًا :

- حمدًا لله على سلامتك يا صديقى .

ابتسم (قدرى) فى ضعف ، وقال :

- أشكرك يا (حسام) ، ولكن ينبغى أن تعلم أننى أحتاج إليكم جميعًا ، ولو تساقطتم من شدة الإرهاق ، فلن أجد أحدًا إلى جوارى ، عندما أحتاج إليكم .

همست (منى) :

- إنه على حق يا (حسام) .

صمت (حسام) لحظات ، ثم نهض قائلًا :

- حسن .. الاعتراف بالحق فضيلة .. سأبحث عن ذلك المنزل الآمن ، ولكن كونى على حذر .

ابتسمت قائلة :

- اطمئن .

أشار إلى جهاز الاتصال فى ياقة قميصها ، وقال :

- وأبقى الاتصال مفتوحًا .. هذا أكثر أمنًا .

أومأت برأسها إيجابًا ، فتنهّد فى ارتياح ، وقال :

- فليكن .. إلى لقاء قريب .

راقبه (قدرى) بعينين نصف مغلقتين ، حتى انصرف تمامًا ، وقال :

- شاب أكثر من ممتاز .

وافقته (منى) ، مضيفة :

- وسيكون له مستقبل باهر ، فى عالم المخابرات .

تنهّد (قدرى) ، وقال :

- هل ذهب (أدهم) ؟

أجابته (منى) :

- نعم .. ولكننا نجهل كيف سيفعلها .. إنه لم يخبرنا بخطته قط .

ابتسم فى ضعف ، وقال :

- (أدهم) موهوب فى هذا المجال .

قالت :

- وكتوم أيضًا .

مطّ شفتيه ، وقال :

- هذا أفضل فى عالمنا ، كما تعلمين .. ثم إنه واسع الخيال ، وليس من السهل استنتاج ما سيقدم عليه .

صمتت لحظة ، ثم قالت :

- هذا صحيح يا (قدرى) .. إننى أسأل نفسى هذا السؤال ، فى كل لحظة ... كيف سيصل (أدهم) إلى وكر (سونيا) ؟.. كيف ؟

وكان هذا بالفعل هو السؤال ، فى تلك اللحظات الحرجة ..

كيف ؟

* * *

١٦ ـ قلب الخطر ..

انهمك أربعة من رجال (سونيا) فى إعداد وتنظيف الهليوكوبتر الضخمة، التى وصل بها (ألكسى) إلى الجزيرة، وبدأ أحدهم فى تزويدها بالوقود، ثم لم يلبث أن هتف فى دهشة :

ـ ما هذا بالضبط ؟

اقترب منه أحد زملائه، قائلًا :

ـ ماذا عندك ؟

ـ أشار الرجل إلى بقعة أعلى خزان الوقود الاحتياطى، وهو يقول :

ـ من صنع هذه الفتحة هنا ؟.. المفروض أن توجد فتحة صغيرة فحسب، للتزوّد بالوقود، ولكن هذه تكفى لعبور دولفين كامل(★) .

ابتسم زميله، وقال :

(★) الدولفين: أحد أنواع الأسماك الكبيرة السريعة، ذات الزعانف الشوكية الزاهية، التى تعيش فى البحار الدافئة، وتوجد منها أنواع تعيش فى المحيطات، وأخرى فى الأنهار .

ـ لا تقلق إلى هذا الحد يا رجل .. ربما صنعوها لإصلاح شىء ما .. ثم إن العدادات تقول إن الخزان الإضافى شبه ممتلئ .. هل تتصوّر أن شخصًا يستطيع الاختفاء وسط البنزين ؟

قال الأوّل فى شك :

ـ دعنا نر أوّلًا .

ومدّ يده يزيح الغطاء البدائى لتلك الفتحة، و ...

وفجأة، برز من خزان الوقود الاحتياطى ضفدع بشرى، يرتدى ثياب غوص كاملة، مع منظار زجاجى، وأسطوانتى أكسجين، وهو يقول ساخرًا :

ـ مفاجأة !

تراجع الرجلان فى ذهول، وصرخ أحدهما :

ـ النجدة يا رفاق .

ولكن الضفدع البشرى قفز خارج الخزان، وانتزع اسطوانتى الأكسجين، وهوى بهما على فك أحد الرجلين، فألقاه جانبًا، ثم طوّحهما فى وجه الآخر، وألقاه أرضًا فاقد الوعى، فاندفع نحوه زميلاهما، وهما ينتزعان مسدسيهما، صائحين فى توتر :

ـ توقّف عندك، أو ..

ولكن (أدهم) لم يمهلهما الوقت الكافى لإكمال عبارتهما، فقد وثب يركل المسدسين، ثم كال لأحدهما لكمة كالقنبلة فى أنفه، وحطّم فك الثانى بأخرى مماثلة، وبعدها اعتدل قائلًا فى سخرية :

ـ أو ماذا ؟

وخلع رداء الغوص فى سرعة، ثم التقط من داخل الخزان الاحتياطى لفافة كبيرة من البلاستيك، فضّها فى عناية، ليخرج منها مدفعًا آليًا، ومسدسًا، وثلاث قنابل يدوية، فدسّ المسدس فى حزامه، وعلّق القنابل الثلاث على صدره، ثم أمسك المدفع الآلى، وقال :

ـ أنا فى طريقى إليك يا (سونيا) .

وفى هدوء، اتجه إلى داخل القلعة مباشرة ..

قلعة الأفعى ..

وفى قاعتها الخاصة، كانت (سونيا) تداعب ابنها، وهى تقول لـ (ألكسى) :

ـ إننى أتوقّع مقاومة شديدة من الدول والحكومات بالطبع، ولكننى سأواجه هذا بإجراء بسيط وفعّال .

سألها فى اهتمام :

ـ وما هو ؟

برقت عيناها فى جذل وحشىّ، وهى تقول :

ـ سأنسف (القاهرة) .

رفع حاجبيه فى دهشة، وقال :

ـ ولماذا (القاهرة) ؟

هزّت كتفيها، قائلة :

ـ لابد من نسف عاصمة ما، ليدركوا جدية التهديد .. ثم إننى كإسرائيلية، أميل إلى نسف (القاهرة) فى البداية .

أومأ برأسه موافقًا، وقال :

ـ يمكننى فهم هذا .

ابتسمت، وهى ترفع عينيها إلى شاشات المراقبة، التى تنقل إليها صورة لكل ما يدور فى القلعة، وقالت :

ـ من الطبيعى أن تفهمنى أيها (الصقر)، فكلانا من الطراز نفسه، الذى لا يعرف الرحمة .. عندما يتعلّق الأمر بـ...

بترت عبارتها بغتة، وهى تعتدل فى حدة، وتحدّق فى إحدى شاشات المراقبة فى ذهول، فارتبك (ألكسى)، وهو يقول :

ـ ماذا هناك ؟

هتفت، وهى تقفز من مقعدها :

ـ مستحيل !

وضغطت زرًا لتقريب المشهد ، الذى تركَّز على وجه رجل من رجالها ، فى زيه الأسود المميَّز ، الذى يحمل رسم الحية ، التى تلتهم ذيلها ، ثم هتفت فى ذهول غاضب عصبى .

ـ مستحيل !.. مستحيل !

حدّق (ألكسى) فى صاحب الوجه ، وقال :

ـ ماذا هناك ؟.. إنه أحد رجالك .. أليس كذلك ؟

صاحت فى غضب هائل :

ـ أحد رجالى ؟!.. انظر جيدًا يا رجل .. ألم تتعرَّفه .. إنه غريمنا اللدود .. إنه (أدهم صبرى) .

ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

ـ (أدهم صبرى) ؟!.. إنه حتى لا يشبهه .

صاحت :

ـ لقد أبدل ملامحه .. ربما يرتدى قناعًا ، ولكنى أنظر إلى أذنيه .. إننى أحفظهما عن ظهر قلب(*) .

انتقل ذهولها وتوترها إليه ، وهو يقول :

ـ ولكن كيف حصل على الزى المميَّز لرجالك ؟.. وكيف وصل إلى هنا ؟

(*) لكل إنسان بصمة أذن مميَّزة ، لا تتشابه قط مع بصمة أذن إنسان آخر ، وقديمًا كانت بصمة الأذن هى الأسلوب الوحيد لتعرُّف الهاربين ، قبل ابتكار أسلوب فحص بصمات الأصابع .



ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

ـ (أدهم صبرى) ؟! .. إنه حتى لا يشبهه ..

لوّحت بذراعها كله ، هاتفة :

ـ من المؤكَّد أن تلك الطائرات ، التى تحوم حولنا ، قد التقطت عشرات الصور لأزياء الرجال .. أما عن وصوله إلى هنا ، فهذا ما أجهله تمامًا .. لقد اخترق كل الحواجز الأمنية ، وهذا مستحيل .. مستحيل تمامًا .

ثم انعقد حاجباها فى غضب هادر ، وهى تستطرد :

ـ ولكنه لن ينجح هذه المرة .. لن ينجح أبدًا .

وضغطت كل أزرار الاتصال الداخلى فى غضب ، وهى تهتف :

ـ إلى الرجال فى كل القطاعات .. هناك متسلِّل داخل القلعة ، فى القطاع (ب ـ ٣) .. حاصروه بكل قوتكم ، ولا تسمحوا له بالوصول إلى هنا قط ..

ستجدون صورته على كل الشاشات .

وبضغطة على زرّ آخر ، ثبتت صورة (أدهم) على الشاشة ، ثم انتقلت إلى كل الشاشات الأخرى ، (سونيا) تصرخ :

ـ اقتلوه .. اقتلوه بلا رحمة .

ولم يكد (أدهم) يسمع هذا النداء ، حتى رفع مدفعه الآلى ، وبدأ عملية إطلاق النيران ..

وكانت مفاجأة مذهلة لرجال (سونيا) ..

صحيح أنهم تلقَّوا تدريبات ممتازة ، فى القتال والمناورة ، ولكن أحدهم لم يدر بخلده قط أن ينجح شخص ما يومًا ، فى الوصول إلى قلب القلعة ، مع كل تلك الإجراءات الأمنية المعقَّدة ..

ثم إن (أدهم) كان يقاتل ويناور ، قبل أن يتعلَّموا هم كيف يمسكون شوكة المائدة ..

بالإضافة إلى قيامه بإجراء بسيط ، أربكهم تمامًا ..

لقد أذاعت (سونيا) صورته بتنكره ، فانتزع قناعه ، وألقاه جانبًا ، وراح يقاتل بوجه عار ..

ذلك الوجه الذى يجهلونه ..

ولم يعد الرجال يدرون من يقاتلون ..

وتضاعف تخبّطهم وارتباكهم ..

ومع ذلك السيل المنهمر من رصاصات (أدهم) ، اضطر الجميع للتراجع ، ورأت (سونيا) ما يحدث على الشاشة ، فصرخت عبر أجهزة الاتصال :

ـ هل تتصوَّر أنك انتصرت يا (أدهم) ؟.. كلَّا .. لقد خسرت هذه المعركة .. وسيكون الثمن فادحًا .. أفدح مما تتصوَّر .. لقد حذَّرتكم جميعًا .. هجومك هذا سيتسبَّب فى نسف (القاهرة) .. انظر .. ألق نظرة أخيرة على وطنك ، قبل أن أبيد عاصمته يا (أدهم) .. انظر لتعلم كم كانت مبادرتك حمقاء عقيمة .

وفى عصبية شديدة، نقلت إلى كل الشاشات صورة (القاهرة)، التى تنقلها الأقمار الصناعية، وحاول (ألكسى) إيقافها، وهو يقول :

ـ لا يا سيِّدتى .. لا تفعلى هذا .

صرخت فى وجهه :

ـ ابتعد عنى .

هتف بها :

ـ لا .. لن أتركك تفعلين هذا .. إنك تفسدين الخطة كلها .. سأمنعك بالقوة، لو اقتضى الأمر .

صرخت فى ثورة جنونية :

ـ أنت ؟!.. أنت تمنعنى أيها الوغد الحقير .

ثم انتزعت مسدسها، وأطلقت رصاصة على قلب (الكسى)، الذى جحظت عيناه فى ألم وذهول، فركلته بقدمها، صائحة .

ـ ابتعد .

انفجر الصغير باكيًا فى ارتياع، ولكنها هتفت فى ثورة غضبها :

ـ هيًا يا (أدهم) .. قل وداعًا لوطنك .

وضغطت زر التفجير ..

* * *

تنهَّد (قدرى) فى عمق، وهو يقول :

ـ يا له من قدر !

ابتسمت (منى) فى حنان، وهى تقول :

ـ الله (سبحانه وتعالى) رحيم بعباده يا (قدرى)، مهما بدا لهم العكس .

أومأ برأسه، وقال :

ـ أعلم هذا يا عزيزتى .. أعلم هذا، ولكن ..

بتر عبارته بغتة، وحدَّق فى شىء ما خلفها، فى دهشة وذعر، فالتفتت إلى حيث يحدِّق فى سرعة، ووقع بصرها على شخص يصوِّب إليها مسدسه، وهو يقول :

ـ مساء الخير يا عزيزتى (سارة جولد شتاين) .. أم أنك تحبين أن أخاطبك باسمك الرسمى .. (منى توفيق) ؟

وكان هذا الشخص هو (موشى) ..

(موشى حاييم دزرائيلى) ..

وفى بطء، رفعت (منى) ذراعيها فوق رأسها، وهى تقول :

ـ ماذا تريد يا (موشى) ؟

ضحك قائلًا :

ـ يا له من سؤال !.. ماذا يريد إسرائيلى مثلى من مصريين مثلكم ؟

قالت فى حدة :

ـ المفروض ألا تريد شيئًا، فهناك اتفاق سلام موقَّع بين بلدينا .. ثم إننا نسعى الآن جميعًا لهدف واحد .

قال فى برود :

ـ أنا أميل فى المعتاد إلى ضرب عصفورين بحجر واحد .. لقد كنت أتتبَّع (سونيا) بالفعل، ولكننى كنت أعلم أنكم ستتوصلون إليها قبلى، فبحثت فى سجلات المقيمين الجدد، فى (لوس أنجلوس)، وكان الخطأ الأكبر هو أن (قدرى) قد استعمل جواز سفره الحقيقى، وكانت له واقعة لا تنسى فى المطار .. وعن طريقه وطريقها، أمكننى التوصل إليكم .

قالت فى ضيق :

ـ فليكن .. دعنى أصفق مهنئة .. ولكن الأمور تطوَّرت الآن، (سونيا) تهددُ العالم أجمع، والمفروض أن نتعاون لإيقافها .

هزَّ رأسه نفيًا، وقال .

ـ لقد درسوا كل الاحتمالات، ووجدوا أن هذا مستحيل؛ لذا فسأستغل فرصة وجودى هنا، وأتخلَّص من صديقى اللدود (أدهم صبرى) .

شعرت بالرغبة فى استفزازه، فقالت :

ـ (أدهم) هناك .

عقد حاجبيه، قائلًا :

ـ أين ؟

أشارت بيدها، قائلة :

ـ فى وكر (سونيا) .

انعقد حاجباه فى شدة، وهو يقول :

ـ هذا مستحيل !

قالت مواصلة استفزازه :

ـ أنت تعرف (أدهم) .. إنه أستاذ فى تحطيم المستحيل .

عقد (موشى) حاجبيه فى شدة، وبذل جهدًا خرافيًا للسيطرة على مشاعره، قبل أن يقول :

ـ فليكن .. دعه يحصل على وسامه الأخير، ولكنه سيعود حتمًا إلى هنا .. وعندما يفعل، سيكون رجالنا فى انتظاره، وسنرسله إلى حيث ينبغى أن يذهب .

قالت فى حدة :

ـ (موشى) .. لا ضرورة لكل هذا .

أجابها وهو يتجه إليها :

ـ لكل منا وجهه نظرة .

وفجأة، أخرج من جيبه محقنًا، وغرسه فى ذراعها، فصرخ (قدرى) :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟
دار رأس (منى)، وسقطت فاقدة الوعى، و (موشى) يقول :
ـ لا تقلق نفسك بشأنها يا رجل .. إنها ستكون الطُعم المناسب، لاصطياد الرجل المناسب .
وحمل (منى) مغادرًا الحجرة، و (قدرى) يصرخ :
ـ لا .. لا تفعل هذا .. لا .
ثم هوى فاقد الوعى مرة أخرى .

★ ★ ★

عقد (سيرجى كوربوف) حاجبيه، وهو يقول :
ـ كل شىء على ما يرام .
ابتسم (فكتور) فى هدوء، قائلًا :
ـ بالطبع يا عزيزى (سيرجى) .. كل شىء دائمًا على ما يرام .. هل كنت تتوقَّع شيئًا آخر .
رمقه (سيرجى) بنظرة باردة، وقال :
ـ سأرفع تقريرى بهذا .
وغادر المكان بخطوات واسعة، وانطلق بسيارته مبتعدًا، و (فكتور) يلوِّح بيده، قائلًا بابتسامة كبيرة ساخرة :
ـ إلى اللقاء يا عزيزى (سيرجى) .. أتمنى رؤيتك مرة أخرى قريبًا .

وفى ذهول تام، غمغم معاون (فكتور) :
ـ ولكن كيف ؟
التفت إليه (فكتور) فى هدوء، قائلًا :
ـ ما الذى تعنيه بكيف ؟
هتف الرجل :
ـ كيف وجد كل شىء على ما يرام ؟
ابتسم (فكتور)، وهو يقول :
ـ لأنه كذلك بالفعل .
أشار الرجل بسبَّابته، قائلًا :
ـ وماذا عن الرءوس الخمسة، التى سلمناها لهم ؟
أطلق (فكتور) ضحكة عالية مجلجلة، وهو يقول :
ـ من تظننى يا رجل ؟.. خائن قذر، أم غبى ساذج ؟!.. لقد لعبت لعبتهم، ولكن بأسلوبى أنا .. أرادوا منحى خمس رءوس نووية زائفة، فقبلتها منهم شاكرًا، وأخذت ملايينهم، ولكننى سألت نفسى : وماذا لو انكشف أمرك يا (فكتور) ؟.. ودفعنى السؤال إلى مواجهتهم بالمثل .. بل واستعرت أسلوبهم أيضًا .
سأله الرجل فى دهشة :
ـ أتعنى أن الرءوس النووية، التى منحناهم إياها، كانت ..

قهقه (فكتور) قائلًا :
ـ زائفة .. نعم يا صديقى .. لقد بعناهم رءوسًا نووية زائفة، بأحد عشر مليونًا من الدولارات .. ألم أقل لك .. إنها صفقة العمر ؟
وتردَّدت ضحكاتهما الساخرة فى المخزن كله ..

★ ★ ★

انتفض جسد (أدهم) كله، عندما ضغطت (منى) زرّ التفجير، وتصوَّر أنه سيرى (القاهرة) تنفجر كلها أمام عينيه، على شاشة المتابعة ..
ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..
لقد ظلت الصورة هادئة، ثابتة، فى حين ارتفع صوت (سونيا)، وهى تصرخ :
ـ خيانة .. كلاب .. لقد خدعونى .. أفسدوا لعبة عمرى كله .. اللعنة !.. اللعنة !.. اللعنة !.. لقد أرسلوا رءوسًا نووية زائفة ..
ارتفع حاجبا (أدهم)، وهو يهتف :
ـ زائفة ؟!.. حمدًا لله .
ثم عاد يطلق نيرانه، صارخًا :
ـ ابتعدوا من أمامى أيها السادة .. لقد انتهى كل شىء .

تراجع الرجال أمامه فى هلع، بعد أن أدركوا فشل زعيمهتم، ولكن (سونيا) صرخت :
ـ ولكننى لم أخسر كل شىء بعد يا (أدهم) .. ما زالت لدى ورقة رابحة .
وبضغطة زر منها، ظهرت على كل الشاشات صورة الدكتور (أحمد صبرى)، شقيق (أدهم)، داخل زنزانة واسعة، و (سونيا) تتابع :
ـ هل تعرَّفته ؟.. إنه شقيقك يا (أدهم) .. أنا أحتفظ به كرهينـــة، وسأقتلـــه، ما لم تغـــادر المكـــان فورًا، وبلا شروط .
ولكن (أدهم) انقضّ على أحد رجالها، وقال له فى صرامة مخيفة :
ـ أين زنزانة السجين ؟
أجابه الرجل على الفور، وهو يرتجف فزعًا :
ـ ثانى ممر إلى اليمين .. آخر حجرة .
اندفع (أدهم) نحو الهدف، وهو يطلق رصاصاته يمينًا ويسارًا، ورأته (سونيا) يقترب من زنزانة شقيقه، فصرخت :
ـ لن تظفر به يا (أدهم) .. سأقتله قبل أن تصل إليه .
واندفعت نحو أزرار التفجير الداخلية ..

ولكن (أدهم) كان أشبه بمعجزة بشرية هذه المرة ..

كان يتحرّك بسرعة ودقة مذهلتين، وكأنما يشعر أن هذا آخر عمل فى حياته كلها ..

وفى لحظة واحدة، كان يواجه باب زنزانة (أحمد)، فأطلق النار على رتاجه، واقتحمه فى عنف، و (سونيا) تصرخ :

ـ أنت أردت هذا يا (أدهم) .

وصاح به (أحمد) :

ـ ابتعد يا (أدهم) .. إنها ستنسف المكان كله .

كان (أحمد) مقيَّدًا إلى مقعد حديدى ضخم، مثبت فى أرضية الحجرة بسلسلة معدنية، ولكن (أدهم) انحنى ينتزع المقعد فى قوة، والدكتور (أحمد) يصرخ :

ـ لا .. لا تحاول .

وضغطت (سونيا) زرّ التفجير، فى نفس اللحظة التى حطّم فيها (أدهم) السلسلة المعدنية، واندفع إلى الخارج ..

ودوى الانفجار ..

وطار جسد (أدهم) فى الهواء، وهو يحمل شقيقه، ومقعده، وارتطم بالجدار، ثم سقط أرضًا ..

وعلى الرغم من آلامه، هتف (أدهم) فى لهفة :

ـ (أحمد) .. أأنت بخير ؟

لهث (أحمد) فى انفعال، وقال :

ـ نعم .. أنا بخير والحمد لله .. المقعد تلقّى الانفجار كله .. ولكن أخبرنى بالله عليك .. كيف فعلتها ؟

نهض (أدهم) فى سرعة، وحلّ قيود شقيقه، وقال له فى لهفة :

ـ أسرع إلى حجرة الاتصالات اللاسلكية .. ثالث حجرة إلى اليسار .. لقد لمحتها وأنا فى طريقى إليك .. اتصل بالموجة (.....) وأخبرهم أن كل شىء على ما يرام، وأن الرءوس النووية كلها زائفة، واطلب منهم إنزال كتيبة مظلات بأسرع ما يمكن .

سأله (أحمد) :

ـ وماذا عنك ؟..

أجابه (أدهم) فى توتر :

ـ سأحاول استعادة ابنى، من تلك الأفعى .

قال (أحمد) :

ـ ولكنى لست أملك سلاحًا .

أجابه (أدهم)، وهو يناوله مسدسه :

ـ خذ هذا، ولكننى لست أتوقّع مقاومة، فهؤلاء الأوغاد علموا أن زعيمتهم خسرت المعركة، ولن يضحوا بأنفسهم من أجلها قط .. أنت تعرف الحكمة القديمة .. الهزيمة يتيمة، والنصر له ألف أب .

ربَّت (أحمد) على كتفه، قائلًا .

ـ نعم .. والفئران أوّل ما يغادر السفينة الغارقة .. اطمئن يا أخى العزيز .. اسع أنت خلف ابنك، وسأبلغ أنا الرسالة .

افترقا عند هذه النقطة، واندفع (أدهم) يبحث عن (سونيا)، التى صرخت عبر أجهزة الاتصال :

ـ فليكن يا (أدهم) .. لقد أنقذت شقيقك .. ولكن ماذا عن ابنك ؟

هتف (أدهم) :

ـ إنه ابنك أيضًا يا (سونيا) .

صاحت :

ـ فليرحل معى إذن .

ثم أردفت فى عصبية شديدة :

ـ إننى لن أحتمل الهزيمة هذه المرة يا (أدهم) .. لن أحتملها أبدًا .. لن أجد مكانًا واحدًا فى الأرض، يمكننى الذهاب إليه، بعد هزيمتى هنا ؛ لذا فالأفضل أن أرحل من العالم كله .

واستطردت فى صرامة شرسة :

ـ وسأحمل ابنى معى .

صرخ (أدهم) :

لا يا (سونيا) .. ليس هذا من حقك .

قالت فى صرامة :

ـ ابنى سيصحبنى إلى أى مكان أذهب إليه يا (أدهم) .. حتى ولو كان هذا المكان هو الجحيم نفسه .

صرخ (أدهم) :

ـ سأقتلك يا (سونيا) .. سأقتلك لو مسست شعرة واحدة من رأس ابنى .. هل تفهمين ؟

أطلقت ضحكة عصبيةً عالية، وهى تقول :

ـ فلنجعلها مسابقة أخيرة يا (أدهم) .. سأرشدك إلى مكانى، ولكن عليك أن تبلغه خلال دقيقة واحدة، وهى الزمن الذى يستغرقه إشعال فتيل القنبلة، التى ستنسف حجرتى كلها .. سأضغط الآن زرّ التفجير يا (أدهم)، وستجد الطريق من موقعك إلى هنا، مضاء بلون أخضر مميَّز .

صاح (أدهم) :

ـ لا تفعلى هذا أيتها المجنونة .

هتفت (سونيا) :

ـ وهذا النداء لكم يا رجال .. مليونا دولار لمن يقتل هذا الرجل، قبل أن يصل إلى هنا .. هيَّا يا (أدهم) .. لقد بدأ العد التنازلى .

وضغطت زرّ التفجير الذاتى ، وتألق طريق أمام (أدهم) بضوء أخضر ، فصرخ :
ـ أيتها السادية الحقيرة .
وانطلق يعدو بكل قوته ، عبر الطرق الخضراء ..
وأغرت المكافأة الباهظة بعض رجال (سونيا) ، فاعترضوا طريق (أدهم) ، وأطلقوا عليه نيرانهم ..
وكان هذا من سوء حظهم ..
صحيح أنهم أصابوه برصاصة فى ذراعه ، وأخرى فى كتفه ، وثالثة احتكّت بعنقه ..
ولكنه لم يتوقّف لحظة واحدة ..
ولم يدخر رصاصاته ..
لقد أطاح بكل ما اعترض طريقه ، وهو يعدو بكل قوته ، محاولًا إنقاذ ابنه ، قبل فوات الأوان ، و (سونيا) تقول فى عصبية :
ـ بقيت عشر ثوان فقط يا (أدهم) .. تسعة .. ثمانية .. سبعة .. ستة ..
لاح له الباب ، فى نهاية الممر ، واعترضه رجل يصرخ :
ـ انتهيت يا رجل .

ضغط (أدهم) زرّ مدفعه ، ولكن رصاصاته كانت قد نفدت عن آخرها ، فهوى بكعب مدفعه على فك الرجل ، صارخًا :
ـ ابتعد عن طريقى ..
وواصل عدوه نحو الباب ، و (سونيا) تصرخ :
ـ ثلاث ثوان .. ثانيتان .. ثانية واحدة .
ودوى الانفجار ..
دوى الانفجار ، قبل أن يبلغ (أدهم) الباب بمتر واحد ، وقذف به إلى الخلف ..
انفجار القاعة ، التى كانت تضم (سونيا جراهام) ، وأحب شخص فى الوجود إلى قلب (أدهم) ..
ابنه ..
وبكل ما تفجّر فى أعماقه من ألم ومرارة وغضب ، صرخ (أدهم) :
ـ لا يا (سونيا) .. لا .. لااااا...
وكانت أقسى لحظة عاشها (أدهم) فى تلك الفترة من عمره ..
بل فى عمره كله .

★ ★ ★



فهوى بكعب مدفعه على فك الرجل ، صارخًا :
ـ ابتعد عن طريقى ..

١٧ ـ السقوط ..

انعقد حاجبا (موشى دزرائيلى) فى شدة ، وهو يرفع مسماع جهاز اللاسلكى عن أذنية ، قائلًا :
ـ يبدو أن ذلك المصرى حقّق انتصارًا آخر .
سألته (منى) ، التى استعادت وعيها نصفيًا :
ـ كنت أعلم هذا .
نهض (موشى) ، وهو يقول فى غيرة واضحة :
ـ القوات الأمريكية أنزلت مظلاتها على الجزيرة ، منذ ساعتين ونصف الساعة ، ونجا العالم من تلك المهووسة .
غمغمت (منى) :
ـ لم يعد هناك مبرّر لقتل (أدهم) إذن .
قال (موشى) فى صرامة :
ـ بل صار لدىّ أكثر من مبرّر .
وصمت لحظات ، ثم استطرد مفسّرًا :
ـ ربما لا تعلمين أننى كنت أنجح رجل فى المخابرات الإسرائيلية ، قبل أن يظهر (أدهم) هذا .. لم أذق هزيمة واحدة إلا على يديه .. حتى هذه المرة ، يعدّ انتصاره هزيمة لى .. لقد منعنى من تحقيق نجاح فى مهمتى .

قالت (منى) :
ـ ليس هذا ذنبه .
صاح بغتة :
ـ بل هو ذنبه .. تدخله يمنعنى من فعل ما كنت أفعله فى الماضى .. لم أعْدُ كما كنت ، والوسيلة الوحيدة لاستعادة أمجادى ، هى إزاحة (أدهم) هذا من الوجود .. هل تفهمين ؟.. سأزيحه من طريقى تمامًا .
لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت يهتف ، عبر جهاز اللاسلكى :
ـ لقد ظهر (أدهم صبرى) يا (موشى) .
برقت عينا (موشى) ، وهو يهتف :
ـ ظهر .. أين هو الآن ؟
أجابه الرجل :
ـ (أشكول) و (بانزر) يطاردانـه ، عبـر شارع (كيندى) ، ويبدو أنه يتجه إليك مباشرة ..
عقد (موشى) حاجبيه ، وقال :
ـ وكيف عرف مخبئى ؟
أجابه الرجل :
ـ ربما يتتبّع إشارة ما .

ازداد انعقاد حاجبى (موشى) ، وهو يلتفت إلى (منى) ، ويفحصها ببصره بسرعة ، ثم انحنى يلتقط جهاز الاتصال المثبت بياقة قميصها ، وهو يقول :
ـ لقد تركت جهاز الاتصال مفتوحًا .. أليس كذلك ؟
أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :
ـ نعم .. إنه يقوده إلى هنا .
اعتدل قائلًا :
ـ فليكن .. سنكون فى انتظاره .
ثم أخرج من جيبه محقنًا آخر ، غرسه فى ذراعها ، قائلًا :
ـ أما أنت ، فلا حاجة لنا بك الآن .. عودى إلى نومك ، وستعلمين فيما بعد ماذا حدث .
صاحت وهى تسقط مرة أخرى فى غيبوبتها :
ـ سيقتلك (أدهم) .
ابتسم قائلًا فى سخرية :
ـ يمكنه أن يحاول على الأقل .
وكان هذا آخر ما سمعته (منى) ، قبل أن تسقط فى غيبوبة عميقة ..
عميقة للغاية ..

★ ★ ★

كانت المطاردة مثيرة ورهيبة ، فى شوارع (لوس أنجلوس) ، بعد منتصف الليل ..
وفى عصبية ، قال (بانزر) :
ـ هذا الرجل يقود كشيطان مريد .. كيف يفعل هذا ؟
هتف به (أشكول) :
ـ كف عن التفكير يا رجل ، سنطارده فحسب ..
راحت السيارتان تنطلقان عبر الشوارع الواسعة ، فى مطاردة مدهشة ، حتى اقتربتا من موضع منزل (موشى) ، فهتف (أشكول) :
ـ المفروض أن يعترضوا طريقه هنا .
أجابه (بانزر) :
ـ هذا صحيح .. خفّف من سرعتك إذن .
خفّف (أشكول) من سرعة السيارة بغتة ، فى نفس اللحظة التى برزت فيها سيارة أخرى ، لتعترض طريق سيارة (أدهم) ، التى انحرفت فى سرعة ، لتفادى السيارة ، فبرزت أمامها سيارة ثالثة ، من الجانب الآخر ..
ولم يكن هناك مفرّ من التصادم ..
وارتطمت سيارة (أدهم) بالسيارة الثالثة ، ثم قفزت على نحو مثير للدهشة ، وبدت أشبه بطائرة صغيرة ، وهى تدور حول نفسها ، قبل أن ترتطم بالأرض فى عنف ، وتزحف فوقها طويلًا ، فهتف (بانزر) ، وهو يندفع خارج السيارة ..

ـ ربحنا يا رجل .
وانطلق يعدو مع زميله نحو السيارة المقلوبة ، وانضمّ إليهما أربعة رجال آخرين ، من السيارتين الأخريين ..
ولكن فجأة ، برز (أدهم) من السيارة المقلوبة ، وهو يحمل مسدسه ، وصاح أحد الرجال :
ـ احترسوا .. إنه مسلّح .
ولكن رصاصات المسدس المصوّب إليهم كانت أسرع من حديثه ..
لقد انطلقت تحصد الجميع بلا رحمة ، وجاوبوها هم برصاصاتهم ، ورأوا الدم يتفجّر من جسد الرجل الذى يواجههم ، ولكنه لم يهتزّ أو يسقط ، وإنما واصل إطلاق النار ، حتى أسقطهم جميعًا ، وبعدها شدّ قامته فى حزم ، واتجه إلى منزل (موشى) ، وأطلق رصاصتين على رتاجه ، ثم دفع الباب بقدمه ، وقفز إلى الداخل ، وهو يصوّب مسدسه حوله ..
ولكن فجأة ، انطلقت رصاصة تطيح بمسدسه ، وبرز (موشى) ، قائلًا :
ـ مرحبًا يا (أدهم) .. كنت أنتظرك .
اعتدل الرجل فى صمت ، فاستطرد (موشى) :
ـ ما قولك الآن ، وأنت تقف أمامى بلا سلاح ؟

أجابه الرجل فى صرامة :

- من السهل أن تتبجح ، وأنت تحمل سلاحك ، فى مواجهة رجل أعزل .

صمت (موشى) لحظة ، ثم قال :

- أنت على حق .

ألقى مسدسه جانبًا ، مستطردًا :

- دعنا نتقاتل رجلًا لرجل .

ودون كلمة واحدة إضافية ، اشتبك الاثنان فى قتال عنيف ..

وعلى الرغم من الجراح والدماء والإصابات ، أدرك (موشى) أنه يواجه خصمًا لا يشق له غبار ، فصاح وهو يخرج من جيبه محقنًا آخر ..

- معذرة يا عزيزى (أدهم) .. لم أعتد البر بوعودى مثلك .

ثم غرس المحقن فى ذراع خصمه ، ودفع المادة المخدّرة فيه ، قبل أن ينتزعه ، قائلًا فى شماتة :

- لا تحاول أن تقاوم يا صديقى .. إنه مخدّر قوى ، وسريع المفعول للغاية .

ترنّح الرجل ، وقال فى غضب :

- أيها الوغد الحقير .

ثم هوى فاقد الوعى ..

ولم تمض ساعة واحدة على هذا ، حتى استعادت (منى) وعيها نصفيًا ، فوجدت نفسها داخل سيارة ، تنطلق بها نحو شاطئ (لوس أنجلوس) ، وإلى جوارها (أدهم) فاقد الوعى ، و (موشى) يقود السيارة فى سرعة وحماس ..

وحاولت (منى) التخلص من قيودها ..

حاولت .. وحاولت .. وحاولت ..

ثم أدركت عقم المحاولة ..

ولم يكن هذا الشيء الوحيد الذى أدركته ..

لقد أدركت أيضًا أنها اللحظات الأخيرة ، بالنسبة للرجل الراقد إلى جوارها ..

وفى هذا ، كانت (منى) على حق ..

على حق تمامًا .

* * *



١٨ - الختام ..

كانت جنازة مهيبة بحق ، تقدّمها رئيس الوزراء بنفسه ، مع عدد من الوزراء ، ومحافظ (القاهرة) ، ومندوب من رياسة الجمهورية ، والتفّ النعش بعلم الجمهورية بألوانه الثلاثة ، واحتشد خلفه حشد كبير من البشر ، كان معظمهم من زملاء الراحل ..

من رجال المخابرات العامة المصرية ..

وعلى الرغم من الجراحة الدقيقة ، التى أجريت ليده ، أصرّ (قدرى) على حضور الجنازة ، وسار والدموع تغرق عينيه ، إلى جوار رجل أشيب الشعر ، كث الشارب ، راح يربّت على كتفه طوال الطريق فى صمت ، حتى تمت مراسم الدفن ، فاصطحبه إلى سيارته ، و (قدرى) يبكى قائلًا :

- لا يمكن أن أصدّق أنه مات .. لقد أحببته كثيرًا .

غمغم الأشيب فى أسى :

- هذا أمر وارد فى مهنتنا يا رجل .. الموت قد يأتيك فى أية لحظة ، دون أن تدرى .

جفّف (قدرى) دموعه ، وقال :

- كانت أصعب مهمة فى تاريخنا .. فقدنا فيها هذا الرجل ، وسقطت (منى) فى غيبوبة عميقة ، بعد أن أنقذوا حياتها بمعجزة ، وماتت (سونيا) وابنها .. كانت ضربة قاصمة للجميع يا رجل .

أومأ الأشيب برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. كانت أصعب مهمة ، ولكن بالنسبة للمشاركين فيها ، أما بالنسبة للعالم أجمع ، فقد كانت مهمة ناجحة للغاية .. زال فيها الخطر ، وانتهت واحدة من أذكى وأبرع مجرمات العصر .. إنهم سعداء بالتأكيد يا رجل ، والأحزان لنا وحدنا .

تنهّد (قدرى) ، وقال .

- هذا قدرنا .

صمت الأشيب لحظة ، ثم وافقه مغمغمًا :

- نعم .. هذا قدرنا .

لفّهم الصمت بضع لحظات ، وهما ينطلقان إلى مبنى المخابرات العامة ، ثم قطع (قدرى) حبل الصمت هذا ، قائلًا :

- سمعت أنك أصبحت رئيس قسم العمليات الخاصة .

أومأ الأشيب برأسه إيجابًا ، وقال :

هذا صحيح ، ولكننى لا أميل للمنصب كثيرًا ، فأنا أكره الأعمال المكتبية كما تعلم .

وصلا إلى مبنى المخابرات العامة ، وصعدا إلى مكتب الأشيب ، وألقى عليه (قدرى) نظرة شاملة ، قبل أن يقول :

ـ مكتبك الجديد أنيق بالفعل .

تنهّد الأشيب ، وقال :

ـ ولكن بلا أصدقاء .

كان (قدرى) يدرك حزنه وآلامه ، فقال :

ـ قل لى : ألديك تفسير منطقى ، لما فعله (حسام) ؟

أومأ الأشيب برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إلى حد ما .. أعتقد أنه سمع حديث (موشى) و (منى) ، عبر جهاز الاتصال المفتوح ، عندما استيقظ من نومه ، وأدرك أن رجال (الموساد) سيحاولون قتل (أدهم) ، فور عودته من (هيل) ، ومن الواضح أن (حسام) تصوّر أن تنكره فى هيئة (أدهم) ، وهو ينطلق لإنقاذ (منى) ، ستصرف أنظارهم عن (أدهم) الحقيقى .

وافقه (قدرى) ، قائلًا :

ـ نعم .. أنا أميل إلى هذا التفسير ، ولكن المسكين لم يكن يدرك أن هذا سيقوده إلى حتفه .

صمت الأشيب لحظة ، ثم قال فى تأثر :

ـ كانت تضحية عظيمة منه ، وبطولة لا يمكن أن ننساها أبدًا .

قالها وهو ينزع شاربه الأشيب ، وشعره المستعار ، ثم يجذب قناعًا مطاطيًا رقيقًا ، ليستعيد وجهه الحقيقى ، وهو يتطلّع إلى العالم فى شرود ، عبر نافذة مكتبه ..

وجه (أدهم صبرى) ، الرجل الذى حطّم كل الحواجز .. رجل المستحيل .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]